من التـــراث

الأسطـــورة :

إذا كانت القصص قد تحكى عن أحداث حقيقية حدثت فى الواقع الماضى فإن الأسطورة Myth تعرف بكونها قصة رمزية تتداول على أنها وقائع لها جذور حقيقية داخل مجتمع يعيش بتقاليد وثقافة تعتمد على الروايات الشفهية . فى الغالب ما تختص الأسطورة بأحداث خارقة للعادة، أو أشياء غير طبيعية، تحكى فتنال الإعجاب من عامة المجتمع الذى يتداول الأسطورة . تعتبر الأسطورة مصدرًا غنيًّا ومهم للإلهام فى مجال الأدب – الدراما والفنون عامة . قد تأخذ الأسطورة أشكال أخرى من الأدب الشفهى الفلكلورى Folklore، أو الحكايات الشعبية، أو الإشاعات، أو الخرافات Legend، ولكنها تتميز عن العناصر السابق ذكرها بأنها تتداول فى المجتمع الذى نبعت منه كقصة حقيقية ، ولكن قد تتداولها المجتمعات الأخرى كأدب شعبى وليس كحقيقة ثابتة . قد تظهر الأسطورة فى شكل غير عقلانى ، أو فى صورة لا يمكن تصديقها ، ولكن تمثل القواعد الأساسية لمبادئ وقيم وثقافة المجتمع الذى نبعت منه . كذلك تمثل الأسطورة التفكير البدائى والأولى للبشر ، والذى قد يكون قد اندثر وتم نسيانه عبر القرون وخلال رحلة الزمان . تحاول الأسطورة إعطاء مغزى أو إسقاط معنى للحدث الذى يتناوله المجتمع ويعتبره حدثا مهما بالنسبه له ، أو متصلا بمشاكله الحالية . أيضا قد توجه الأسطورة لتغذية الأمل فى مجتمع يائس ، أو قد توجهه فئة من المنتفعين لتثبيط الهمم.

ظهر فرع فى علم النفس خاص بدراسة الأساطير والحكايات الشعبية ، ركز فيه الباحثون على تحليل مضمون الأساطير والحكايات الشعبية من منظور علم النفس والدوافع التى أدت إلى نشأتها . فسر رائد مدرسة التحليل النفسى سيجموند فرويد،

الأساطير على أنها تعبير عن أحلام ورغبات مكبوتة ، وأنها تعكس بعض العقد النفسية خلال المراحل الأولية فى تطور الإنسان . ذهب بعض الباحثين إلى تشابه الأساطير والعناصر القصصية فى البلاد المختلفة يرجع إلى انتشارها فى ثقافات متقاربة بالرغم من تباعدها زمانا ومكانا . وكانت هجرة البشر من بلد لآخر لها الأثر الملموس فى تشابه وانتشار نفس الأسطورة ، مع التحريف الذى يلائم المجتمع الذى تنتشر فيه .

يعرف التراث Tradition بأنه مجموعة العادات والقيم والسلوك – والثقافة بصفة عامة – والتى تنتقل من جيل إلى آخر عبر الزمان . قد يأخذ التراث الشكل الشفهى غير المكتوب ، أو يأخذ صورة الإبداع الفكرى والأدبى والفنى ، بجميع أشكالها وأساليبها المكتوبة والمسجلة . يذهب علماء الأنثروبولجى -- علم الإنسان تاريخيا وثقافيا – إلى أن التراث غير المكتوب يشمل السلوك والطقوس والشعائر العقائدية / الدينية ، والكلام المنطوق ، والرموز الاجتماعية المستعملة والشائعة فى الحياة ، وأن دلالاته النفسية والعقائدية والفكرية عادة ما تكون متحولة ومتخفية ومركبة ، كما أن تحولاته تتم بشكل تراكمى حتى تصبح مرحلته الأخيرة بلونها القائم تصور كل مراحله السابقة . إن طقوس الخطوبة والزواج – مثلا – لها جذور فرعونية / قبطية / عربية إسلامية ، وقد تكون قد تأثرت بالتقاليد الأوربية فى العصر الحديث . أما التراث المكتوب فهو إبداعات فكرية وأدبية وفنية محفوظة فى المخطوطات وفى الكتب، وفى شكل لوح فنية وتماثيل ونقوش ونحت على الجدران، أو فى صورة قطع موسيقية محفوظة فى الورق أو على شرائط التسجيل. إن التراث هو الذى يشكل ثقافة المجتمع ، وديناميكية المنظومة البشرية هى التى تفرض التحويل والتغيير لتبدو الثقافة فى صورتها الحاضرة ، والتى تصبح ماضيا لتهل صورة أخرى فى شكل جديد .

باكورة الخطايا :

امتثل آدم لنصيحة حواء ، فكانت الخطيئة الأولى . ينبئنا سفر التكوين من العهد القديم عن قصة الخلق الذى تم فى ستة أيام ، وكل ما يهمنا هنا فى هذا الكتاب هو اليوم السادس ، حيث جاء فى سفر التكويـن : (وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها وكان كذلك .... ورأى الله ذلك أنه حسن وقال الله نعمل الإنسان .. فخلق الله الإنسان ...) . أخذ الرب آدم ووضعه فى جنة عدن، وأوصى الرب آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت . حتى تلك اللحظة كان آدم وحيدًا وسعيدًا فى جنة عدن ، ولم تتواجد على الأرض أى خطيئة . نعود إلى سفر التكوين لنستكمل قصة خلق حواء : (وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده ، فأصنع له معينا نظيره . وجعل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها ، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية ، وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره ، فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما ، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم ، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرآة لأنها من امرىء أخذت ، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامراته ويكونان جسدا واحدا. وكانا كلاهما عريانين آدم وامرآته وهما لا يخجلان) . لم يخبرنا العهد القديم عن سبب انتظار الحية لخلق حواء لتغريها ، لقد خلق الرب آدم قبل حواء ، وعاش آدم فى جنة عدن وحده، فلماذا لم تحاول الحية إغراء آدم ... وانتظرت حتى تحتال على حواء ؟

نعود مرة ثانية لسرد الحكاية ، كما جاء فى العهد القديم : (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية: من ثمر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى

وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . فقالت الحية للمرأة: لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر . فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر . فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل . فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر) . وتستكمل الرواية بسماع آدم وحواء صوت الرب ، فختبآ فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب آدم وقال له: أين أنت؟ فرد آدم بأنه سمع صوت الرب فاختبأ لأنه عريان ، فقال الرب: من أعلمك بعريك؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها؟ فرد آدم : المرأة التى جعلتها معى هى التى أعطتنى من ثمار الشجرة فأكلت . قال الرب للمرأة: ما هذا الذى فعلت؟ فقالت حواء: الحية أغرتنى فأكلت. لعن الرب الحية وقال لحواء : بالتعب يكون حبلك ، وبالوجع تلدين أولادًا، وإلى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك ، ثم قال الرب لآدم : ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها ، لأنك تراب وإلى التراب تعود . يختتم الإصحاح الثالث من سفر التكوين بقول الرب الإله : (هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويحيا إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها) .

انتهت الخطيئة الأولى وسرعان ما جاءت الخطيئة الثانية كما ورد فى التوراة . ولدت حواء قابيل ، ثم عادت فولدت هابيل ، وكان هابيل راعيا للغنم أما قابيل فيعمل فى زراعة الأرض . حدث أن قابيل قدم من ثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أحسن أبكار غنمه قربانا . نظر الرب إلى هابيل وقربانه ولم ينظر إلى قربان قابيل ، فاغتاظ قابيل . ومر زمان وكان الأخوان فى الحقل ، فقام قابيل على أخيه وقتله . يستمر الاصحاح الرابع فى سرد باقى الحكاية : (فقال الرب لقابيل / قابيل أين هابيل أخوك؟ فقال: لاأعلم ، أحارس أنا لأخى؟ فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض ، فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت

فاها لتقبل دم أخيك من يدك ، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها ، تائها وهاربا تكون فى الأرض) وهام قابيل على وجهة مدنساً بخطيئته وانتهت الخطيئة الثانية ، ليستمر بعد ذلك مسلسل الخطايا من نسل آدم وحواء ، وعرف الإنسان الضمير حتى قبل نزول الأديان السماوية ليوازن الشر الكائن فى داخله ، كما عرف الإنسان أن الإثم والخطيئة تذهب بالإنسان إلى الجحيم ، وبالرغم من ذلك ما زال بنو الإنس يخطئون، وفى الشر يرتعون .

امـــرأة لـــوط :

مرة ثانية نغوص فى بحر العهد القديم (التوراة) بعد أن مر ملائكة الرب على سيدنا إبراهيم ، وأكرمهم وذبح لهم عجلا وقدم لهم زبدا ولبنا ، بشروه بأن زوجته سارة ستلد ابنا . كان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى السن ، فلما سمعت حديث ملائكة الرب وهى على باب الخيمة ضحكت فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى ولد وسيدى – زوجى – قد شاخ . ثم سار ملائكة الرب متجهين نحو سادوم ، وكان إبراهيم ماشيا معهم ليودعهم ، ووعدوه بأن تكون له أمة كبيرة وقوية يتبارك بها على جميع أمم الأرض . قالت الملائكة قبل أن يتركوا إبراهيم : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر ، وخطاياهم قد عظمت ، ثم انصرفوا وذهبوا إلى سدوم.

حط ملكان من ملائكة الرب على سدوم ، وكان لوط جالسا فى أول البلدة ، فلما رآهما قام لاستقبالهما وسجد بوجهه على الأرض تحية لهما. نستكمل باقى الحكاية مما ورد فى سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر : (وقال يا سيدى ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما ، ثم تبكران وتذهبان فى طريقكما ، فقالا: لا فى الساحة نبيت ، فألح عليهما جدا فمالا إليه ودخلا بيته ، فصنع لهما ضيافة وخبز فطيرا فأكلا . وقبلما أضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة ، رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ ، كل الشعب من أقصاها . فنادوا لوطا وقالوا له: أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة ، أخرجهما إلينا لنعرفهما . فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه ، وقال: لا تفعلوا شرا يا إخوتى ، هو ذا لى ابنتان لم تعرفا رجلا ، أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما

يحسن فى عيونكم ، وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفى ، فقالوا: أبعد إلى هناك . ثم قالوا : جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكما، الآن نفعل بك شرا أكثر منهما ، فألحوا على الرجل لوط جدا وتقدموا ليكسروا الباب ، فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب ، وأما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أن يجدوا الباب) .

كان أهل سدوم من المثليين يمارسون الفواحش ، فغضب الرب عليهم ويشاء عقابهم . نعود إلى الرواية كما وردت فى التوراة ، عندما أمر الرجلان لوطا أن يخرج مع أهل بيته وأصهاره وأقاربه وكل من له فى المدينة إلى خارج هذه البلدة الملعونة لأن الرب هالك هذا المكان بعد أن عظم صراخهم أمام الرب من تهجم أهل سدوم عليهم . طلب لوط من أصهاره المتزوجين من بناته أن يرحلوا من المدينة لأن الرب هالكها ، فظن أصهاره أن لوط يمزح معهم ولم يأخذوا الأمر بجدية . نستكمل باقى الرواية كما ورد فى الإصحاح التاسع عشر : (ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة ، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة . وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال: أهرب لحياتك ، لا تنظر إلى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة ، اهرب إلى الجبل لئلا تهلك . فقال لهما لوط : لا يا سيد ، هو ذا عبدك قد وجد نعمه فى عينيك وعظمت لطفك الذى صنعت إلى باستبقاء نفسى ، فقال له: إنى قد رفعت وجهك فى هذا الأمر أيضا أن لا أقلب المدينة التى تكلمت عنها ، أسرع اهرب إلى هناك ، لأنى لا أستطيع أن أفعل شيئا حتى تجىء إلى هناك ، لذلك دعى اسم المدينة صوغر ... وإذا أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر ، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح) .

كان خطيئة امرأة لوط أنها لم تنصع لنصيحة ملاك الرب ، وأنها لم تطع زوجها ، فتحولت إلى تمثال من الملح . أما لوط وابنتاه فقد صعدوا إلى الجبل وسكنوا فى مغارة هناك . حكت التوراة بعد ذلك عن ابنتى لوط اللتين خافتا ألا يتزوجا بعد أن عاشا فى عزلة فوق الجبل ، فخططا فى فعل الفاحشة مع أبيهما وبدأت ابنة لوط البكر مع أبيها ، وتبعتها أختها الصغرى فى الليلة التالية بعد أن اسقتا أباهما خمرا ، فلم يعلم بما فعلتا به ابنتاه .

حدث فى مصر الفرعونية :

تداولت قصة يوسف عليه السلام فى الكتب السماوية، وروايتها تسلينا وتسرينا عما تفعله بنا حواء العصر الحديث التى اجتازت مرحلة المكر والخديعة إلى خطيئة أفدح هى القتل غير الرحيم، لزوج أو عشيق ــ من وجهة نظرها ــ ذئيم ولئيم، لا تكفيه استخدام السكين وتعبئته فى أكياس وتوزيع لحمه على المساكين . ويوسف هو ابن يعقوب الذى كان يدعى أيضاً إسرائيل، وهو ابن إسحق ابن سيدنا إبراهيم . كان يعقوب / إسرائيل يحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته، فكان أخوته يبغضونه . حلم يوسف حلماً وأخبرأخوته أنه رأى فى المنام أنه كان فى الحقل يحزم المحصول فإذا حزمته قامت وانتصبت فسجدت حزم أخوته لحزمته . قال له أخوته: لعلك تملك علينا وتتسلط، وازدادوا له بغضاً وحقداً،وفى يوماً آخر قص على أخوته حلما جديدا، وهو أن الشمس والقمر وإحدى عشر كوكباً ساجدة له، وزاد هذا الحلم من كره وحسد أخوته .

فى يوم من الأيام كان أخوة يوسف يرعون الغنم، فأرسله أبوه إليهم، فلما أبصروه من بعد قال أحدهم : هو ذا صاحب الأحلام قادم، هلم نقتله ونرميه فى بئر ونقول لأبينا وحش من وحوش الصحراء قد أكله، فنرى ماذا آلت عليه أحلامه . اقترح رأوبين على أخوته ألا يقتلوه، بل يرموه فى بئر ليس فيه ماء . قام أخوات يوسف بطرحه أرضا وخلعوا عنه قميصه ورموه فى البئر، وجلسوا ليأكلوا طعاماً، ورفعوا أعينهم فرأوا قافلة تسير متجهة نحو بلاد مصر. قال يهوذا لأخوته: ما الفائدة

من أن نقتل أخانا، دعنا نبيعه للقافلة، فباعوه بعشرين مثقالا من الفضة. ذبح أخوات يوسف ماعز من القطيع وغمسوا قميص يوسف فى الدم ، وعادوا إلى أباهم يبكون وينتحبون وأخبروه أن وحشا من الصحراء قد قتله ، فبكى يعقوب على ابنه دهرا طويلا حتى ضعفت عيناه من كثرة البكاء .

وصلت القافلة إلى مصر ، وعرضت يوسف للبيع فابتاعه رئيس الشرطة وكان رجلا ناجحا وأمينا. أخلص يوسف فى خدمة سيده ، فأوكل إليه بكل أعمال البيت ، فبارك الرب فى البيت بسبب يوسف . أصبح يوسف شابا يافعا ، حسن الصورة وجميل المنظر ، تشتهيه كل من تراه من النساء . ومرت الأيام حتى حدثت الخطيئة كما جاءت فى سفر التكوين : (وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت: اضجع معى ، فأبى وقال لامرأة سيده : هو ذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت وكل ماله قد دفعه إلى يدى ... ولم يمسك عنى شيئا غيرك لأنك امرأته ، فكيف أصنع هذا الشر وأخطئ هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله .... ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت ، فأمسكته بثوبه قائله: أضجع معى، فترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج .. فنادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة: انظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا ، دخل إلى ليضجع معى فصرخت بصوت عظيم ، وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب ...) .

نعود إلى استكمال الرواية ، بادعاء رئيس الشرطة على يوسف الخيانة ، فوضعه فى بيت السجن الذى كان أسرى فرعون مصر محبوسين فيه . كان الرب مع يوسف فبسط له فى محبسه ، وجعل نعمة له فى عينى رئيس السجن ، وأنابه فى أمور السجن والمساجين . ومرت الأيام وحدث أن رئيس سقاة فرعون ورئيس الخبازين قد أذنبا فوضعهما فى السجن الذى كان يوسف محبوسا فيه . حلما الاثنين فى ليلة واحدة، وفى الصباح دخل عليهما يوسف فوجدهما مغتمين ، فسألهما يوسف عن السبب، فقالا له: حلمنا حلما ولم نجد من يفسره لنا . قص رئيس السقاة حلمه وقال ليوسف كما

جاء فى التوراة : (كنت فى حلمى وإذا كرمة أمامى ، وفى الكرمة ثلثة قضبان ، وهى إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا ، وكانت كأس فرعون فى يدى ، فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون وأعطيت الكأس فى يد فرعون . فقال له يوسف: هذا تعبيره ، الثلثة القضبان هى ثلثة أيام ، فى ثلثة أيام أيضا يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك ، فتعطى كأس فرعون فى يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه ، وإنما إذا ذكرتنى عندك حينما يصير لك بخير تصنع إلى إحسانا وتذكرنى لفرعون وتخرجنى من هذا البيت ، لأنى قد سرقت من أرض العبرانيين ، وهنا أيضا لم أفعل شيئا حتى وضعونى فى السجن . فلما رأى رئيس الخبازين أنه عبر جيدا قال ليوسف كنت أنا أيضا فى حلمى وإذا ثلثة سلال حوارى على رأسى ، وفى السلة الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز ، والطيور تأكله من السلة عن رأسى، فأجاب يوسف وقال: هذا تعبيره ، الثلاثة سلال هى ثلثة أيام ، فى ثلثة أيضا يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة ، وتأكل الطيور لحمك عنك ... فحدث فى اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون أنه صنع وليمة لجميع عبيده . ورفع رأس رئيس السقاه ورأس رئيس الخبازين بين عبيده، ورد رئيس السقاة إلى سعيه ، فأعطى الكأس فى يد فرعون ، وأما رئيس الخبازين فعلقه كما عبر لهما يوسف ، ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه).

ومر الزمان وإذا فرعون يحلم بأنه واقف عند النهر فيرى سبع بقرات حسنة المنظر وسمينة اللحم تخرج من الماء ، ثم سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر وهزيلة اللحم طالعة وراءها ، فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطئ النهر ثم أكلتها ، وحينئذ استيقظ فرعون من سباته ، ثم نام فرأى فرعون فى منامه بسبع سنابل فى ساق واحدة حسنة النبت ، ثم سبع سنابل فارغة جاءت وراءها فابتلعت السبع سنابل الأولى، استيقظ فرعون فى حيرة وانزعاج ، ودعى جميع سحرة مصر وجميع حكمائها لتفسير حلمه . حكى رئيس السقاة لفرعون عن حلمه الذى رآه فى أثناء فترة حبسه وكذلك حلم رئيس الخبازين ، وأن غلاما قد فسر الحلمين ، وتحقق كل ما قاله بعد ذلك . أرسل فرعون مصر لدعوة يوسف للمثول أمامه ، فاقتاده الحرس من سجنه

وقص فرعون على يوسف كل ما رآه فى المنام . نعود إلى التوراه لتكملة الرواية ، عسى أن يجعل الله لنا فيها عبرة فى النهاية : (فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد. فقد أخبر الله فرعون بما هو صانع . البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين . والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين . والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعا فينسى كل الشبع فى أرض مصر ويتلف الجوع الأرض ، ولا يعرف الشبع فى الأرض من أجل ذلك الجوع بعده ، لأنه يكون شديدا جدا . وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله ، والله مسرع ليصنعه) . نصح يوسف فرعون بأن يبحث عن رجل بصير وحكيم ، يتولى إدارة شئون مصر فيأخذ خمس الغلة فى سبع سنوات الشبع ويخزنها فى صوامع فرعون لتكون زادا وذخيرة فى السبع سنوات العجاف ، وبذلك لا يعرف شعب مصر الجوع . حسن كلام يوسف فى عين فرعون وفى عيون أتباعه وعبيده ، ثم قال فرعون ليوسف : بعد أن أنعم الله عليك بالبصيرة والحكمة ، فلن نجد غيرك نوليه إدارة وتصريف شئون البلاد ، وعليه فقد جعلتك على كل أرض مصر ، وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف ، وألبسه ثياب الأمراء ، ووضع طوق ذهب فى عنقه . دليلا على المكانة العالية .

كان يوسف فى أثناء هذه الأحداث ابن ثلاثين سنة ، واتخذ مصرية وهى بنت كاهن أون زوجة له . أثمرت الأرض خلال سبع سنوات ، فحصد رجال يوسف المحاصيل وخزن قمحا كرمل البحر . انتهت سنوات الشبع وجاءت سنين الجوع الذى عم جميع البلدان عدا مصر حيث أخرج يوسف من مخازن فرعون الخير الكثير. لما رأى يعقوب – الذى كان يعيش مع أبنائه فى أرض فلسطين – أنه يوجد قمح فى مصر قال لبنيه : انزلوا إلى مصر واشتروا لنا من هناك قمحا حتى نحيا ولا نموت ، فنزل عشرة من إخوة يوسف ليشتروا قمحا من مصر ، واستبقى يعقوب بنيامين . كان يوسف هو القائم على بيع القمح فى مصر ، وعندما أتى أخوته وسجدوا ليوسف بوجوههم إلى الأرض ، تعرف عليهم بالرغم من أن أخوته لم يعرفوه. كلم يوسف أخوته بجفاء مصطنع وقال لهم: من أين جئتم ، فقالوا: من أرض كنعان .

تنهد يوسف وتذكر الأحلام التى حلم بها عن أخوته ومرت الأحداث السابقة على ذاكرته مرور الوجيعة والألم . قال يوسف لأخوته دون أن يعلن عن أصله : أنتم لم تحضروا لشراء قمح بل أنتم جواسيس . أنكر أخوة يوسف هذا الاتهام وقالوا : نحن عبيدك اثنا عشرا أخا ، أبناء رجل واحد يقيم فى أرض كنعان ، واحد منا مفقود والآخر الصغير مع أبينا . رد يوسف بتأكيد الاتهام وقال : اذهبوا لإحضار أخيكم الصغير إن كنتم صادقين، وواحد منكم ينتظر هنا فى الحبس رهينة حتى يرجع الباقون .... وفى النهاية يعود الشمل حيث يأتى يعقوب / إسرائيل مع أبنائه إلى أرض مصر ، فيكشف يوسف عن شخصيته ، ويكرم أباه وأخوته بعد أن نسى الضغينة والجحود وكل ما رآه من أخوته . استقر آل يعقوب/ إسرائيل فى أرض مصر لمدة تبلغ حوالى أربعمائة من السنين حتى عهد موسى عليه السلام ، الذى يخرج بشعب إسرائيل إلى أرض الميعاد .... وهذه قصة أخرى ليس مجالها هذا الكتاب .

شمشون ودليلة :

قد يظن البعض أن الصراع الفلسطينى الإسرائيلى بدأ فى العصر الحديث ، فقد عاش كل من الشعبين فى أرض مجاورة ، ولم ينقطع الصراع والقتال ، أو تهدأ المناوشات بينهما منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام . بالرغم من دهاب اليهود إلى أنهم شعب الله المختار ، المحبوب من الرب «يهوه» ، فإن رب اليهود كثيرا ما كان يغضب عليهم من أفعالهم الشريرة . مرجعنا فى هذه الرواية هو العهد القديم «التوراة»، وكما جاء فى الإصحاح الثالث عشر من «قضاه» فى أن بنى إسرائيل قد عادوا يعملون الشر فى عينى الرب فدفعهم ليد الفلسطنيين لمدة أربعين سنة، حيث وقعت أحداث هذه الحكاية خلال هذه الفترة .

كان رجل من عشيرة الدانيين اسمه منوح يعيش مع زوجته العاقر ، وفى يوم من الأيام ترائى لها ملاك الرب وقال : (ها أنت عاقر لم تلدى، ولكنك تحبلين وتلدين أبناء والآن فاحذرى ولا تشربى خمرًا ولا مسكرا ولا تأكلى شيئًا نجسًا) . وعد ملاك الرب امرأة منوح بأن الرب سوف يخلص إسرائيل من يد الفلسطينين من

خلال قوة ابنها الذى ستلده . قصت امرأة منوح إلى زوجها ما سمعته من ملاك الرب، فقام وصلى ودعى إلى الله أن يرسل إليه ما يعلمه كيف يتعامل مع الصبى الذى سيولد . نستكمل الحكاية كما وردت في التوراة : (فسمع الله لصوت منوح فجاء ملاك الله أيضاً إلى المرأة وهى جالسة فى الحقل ومنوح رجلها ليس معها . فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها ... فقام منوح وسار وراء امرأته وجاء إلى الرجل وقال له: أأنت الرجل الذى تتكلم مع المرأة، فقال ملاك الرب لمنوح : من كل ما قلت للمرأة فلتحفظ . من كل ما يخرج من جفنه الخمر لا تأكل وخمراً ومسكراً لا تشرب، وكل نجس لا تأكل) . أراد منوح وزوجته أن يقوما بواجب الضيافة وأن يذبحا جدى ماعز، فرفض ملاك الرب حيث كان منوح لا يعلم كنهه. أصر منوح على ذبح الماعز وشيه، فرأى منوح وزوجته ما أدهشهما، فقد صعد ملاك الرب مع لهيب الشواء، حينئذ عرفا أن هذا الرجل هو ملاك الرب . ومرت الأيام فولدت زوجة منوح ابنا ودعت اسمه شمشون، وكبر الصبى وباركه الرب .

وصل شمشون إلى سن الشباب فى عصر كان الفلسطينين متسلطين على بنى إسرائيل، وكانت الكراهية بينهما قائمة، وحدث أن شمشون كان يتجول فى بلدة فلسطينية فرأى فتاة فلسطينية فذهب ليخبر أباه وأمه عن عزمه على الزواج من هذه الفتاة، فرفض أبواه أن يتزوج من بنات فلسطين . تحكى التوراة بعد ذلك عن قوة شمشون ، حيث التقى بأسد حين كان يمشى فى حدائق البلدة الفلسطينية ، فحل عليه روح الرب – كما ورد فى التوراة – وشق الأسد بيده كما يشق الجدى ، ولم يخبر أبواه بما فعل ولكن حكى ما فعله للفتاه الفلسطينية التى أصبحت زوجة له . دعى شمشون أصدقاء فتاته من الفلسطينيين إلى وليمة وطرح عليهم أحجية / ألغاز وقال لهم: إن قمتم بحل هذا اللغز سأعطيكم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب وإذا فشلتم ستعطونى أنتم مثلها . لم يستطع شباب فلسطين أن يحل أحجية شمشون فذهبوا إلى فتاته وقالوا لها : تملقى رجلك ليحل لنا الأحجية ، وإن رفضتى سنحرقك وسنحرق بيت أبيك . خافت الفتاة على أهلها وبكت أمام شمشون ورجته أن يحل لها لغز ما قاله لشباب فلسطين ، وتحت ضغط وإلحاح فتاته أفضى

إليها بالحل فأخبرت به شباب عشيرتها ، الذين فرحوا وسارو إلى شمشون وأخبروه بالحل . اغتاظ شمشون بعدما عرف أن فتاته قد وشت به ، وحمى غضبه وقتل من الفلسطينيين ثلاثين رجلا وسلب متاعهم . ومرت الأيام واشتاق شمشون لفتاته فذهب إلى أباها ليسترضيه ، فرد عليه والدها بأنه قد أعطاها لصديق شمشون بعد أن هجرها ، وعرض عليه أختها الصغرى لتكون له عوضا عن الكبرى ، فقال شمشون لأهل فتاته : إنى برىء الآن من الفلسطينيين إن عولت بهم شرا . ذهب شمشون وأمسك ثلاثة مئة من الثعالب وأضرم النار فى ذيولها وأطلقها على زرع الفلسطينيين فأحرق أكداس الحصاد والزرع وأشجار الكروم والزيتون.

أسهبت التوراة فى سرد ما فعله شمشون بأهل فلسطين ، بعد أن أوثقوا يده بواسطة أهله وعشيرته من بنى إسرائيل وسلموه إلى الفلسطينيين خوفا منهم ، ففك شمشون وثاقه وقتل من الفلسطينيين الآلاف ، ثم ذهب إلى غزة للإقامة فيها هربا من أهله ومن الفلسطينيين . وفى غزة تعرف شمشون على امرآة فلسطينية تسمى دليلة فهام بها وأحبها . ذهب زعماء القبائل الفلسطينية إلى دليلة وقالوا لها : تملقيه واعرفى لنا سر قوته العظيمة ، وبماذا نتمكن منه لكى نوثقه لإذلاله ، ويعطيك كل واحد منا الفا ومئة شاقل فضة . بعد محاولات عديدة تملص فيها شمشون من إلحاح دليلة وبعد أن أخبرها كذبا بسر قوته ، استطاعت دليلة بالدهاء الأنثوى للمرأة وبالإغراء الذى لم تستطع شهوة الرجل أن تفلت منه ، أن تعرف سر قوة شمشون، فقد أخبرها أخيرا أن سر قوته فى شعره ، فإن قص شعره ضاعت منه قوته وسار مثل سائر البشر . أنامت دليلة شمشون على ركبتها وحلقت سبع خصل شعر من رأسه ، ففارقته قوته ، فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة ، وأوثقوه بسلاسل قوية من النحاس ، ورموه فى السجن . بدأ شعر شمشون ينبت دون أن يتنبه إلى ذلك الفلسطينيون حيث جرى العزم على ذبحه انتقاما لما أحدثه من خراب فى أملاكهم وقتلا فى رجالهم . سحب شمشون من السجن وأوقفوه بين أعمدة هيكل أو بيت كبير للفلسطينيين ، حيث كان الهيكل مملوءا بأكثر من ثلاثة آلاف رجل وامرأة من أهل فلسطين . قبض شمشون على العمودين المتوسطين الذين

كان البيت قائما عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه والآخر بيساره ، وقال شمشون جملته الشهيرة : (لتمت نفسى مع الفلسطينين) ، وانحنى بقوة فسقطت أعمدة الهيكل على الفلسطينيين فأمات منهم أكثر من الذين أماتهم فى حياته . وأصبحت قصة شمشون ودليلة أسطورة تتداولها الثقافات الغربية والشرقية .

كليوباتـــرا :

بعد وفاة بطليموس السادس فى عام ١٤٥ ق.م ، أخذت مصر البطالمة طريق الاضمحلال ، وأخذ مجلس الشيوخ الرومانى يقوى سلطانه فى مصر ، ويملى عليها إرادته ، بل إنه أقام حامية رومانية فى الإسكندرية . بعد وفاة بطليموس الحادى عشر الذى أجلسه القائد الرومانى بمبى على العرش ، آلت مقاليد الحكم إلى ابنه بطليموس الثانى عشر وابنته كليوباترا وفقًا لوصية الوالد الذى طلب أن يتزوج الأخ أخته ويشتركا فى حكم مصر معا . كانت كليوباترا من أصل يونانى مقدونى ، ولم تكن جميلة ولكن كانت تتميز بقوة شخصيتها ، وثراء ثقافتها ، مما أضفى عليها فتنة وإغراء . فى هذه الأثناء حدثت حرب أهلية فى بلاد الرومان بين قيصر وقائده بمبى ، ودار صراع بين الطرفين انتهى بهزيمة بمبى وهروبه إلى الإسكندرية. فأمر بوثينس وزير بطليموس الثانى عشر بقتل بمبى إرضاء لقيصر . لما جاء قيصر إلى مصر أظهر رجال بوثينس رأس بمبى لقيصر فأظهر امتعاضه لعملية الاغتيال . نزل قيصر فى قصر البطالمة الملكى وأخذ ينظم شئون المملكة المصرية . استاء قيصر عندما عرف أن بوثينس قد نفى كليوباترا ونصب نفسه نائبا عن بطليموس الشاب ، يحكم البلاد باسمه. احتالت كليوباترا للوصول إلى قيصر بأن أخفت نفسها فى سجادة أو فراش حمله خادمها إلى مسكن قيصر ، فأعجب قيصر روما بذكائها وفتنتها ، ووفق بينهما وبين أخيها ، وأجلسها مع أخيها على عرش مصر كما كانا من قبل .

عرف قيصر أن بوثينس ، والقائد المصرى إخلاس تآمرا عليه لقتله ، فدبر قيصر اغتيال بوثينس، وفر إخلاس جنوبا واتصل بالجيش المصرى وحرضه على الثورة ضد قيصر وجيشه الصغير ، فتوافد على الإسكندرية قوات من جيش إخلاس

لمحاربة قيصر . طلب قيصر المدد من آسيا الصغرى وسوريا ورودس . أدرك قيصر أن أسطوله سيقع فى يد أعدائه ، فأمر بحرقه ، فالتهمت النيران مكتبة الاسكندرية الشهيرة بكتبها ووثائقها . فى أثناء المعارك ظن بطليموس الثانى عشر أن الثوار قد حالفهم النصر،فخرج من القصر وانضم إليهم حتى اختفى عندما جاء المدد إلى قيصر، وهزم به المصريين . كافأ قيصر كليوباترا على إخلاصها بأن عين أخاها الأصغر بطليموس الثالث عشر ملكا على مصر معها، فكانت بذلك هى الحاكم الحقيقى على مصر . أقام قيصر فى مصر حوالى تسعة شهور، تمتع فيها بفتنة كليوباترا التى وضعت طفلاً من قيصر فى عام ٤٧ ق.م اسمته قيصرون . عاد قيصر إلى بلاده بعد ان اندلعت القلاقل والفوضى فى امبراطوريته ، وظل بها حتى اغتياله .

فى عام ٤٤ ق.م اغتال بروتس قيصر، وامتد عهد الفوضى والحروب الداخلية فى روما . ظهر فى هذه الأثناء القائد انطونيوس (انطونيو) الذى انتقم لمقتل قيصر وحارب بروتس وهزمه، وتقاسم المنتصرون الغنائم واختار أنطونيوس مصر وبلاد اليونان والشرق ليحكمها. استسلم انطونيوس لشهواته ومجونه وأرسل إلى كليوباترا للمثول بين يديه فى طرسوس ببلاد الشام للتحقيق معها فى الاتهامات الموجهة إليها، فجائت إليه فى قارب ينساب فى النهر على أنغام الموسيقى الشجية، ففتنته بسحر شاعرية اللقاء . بدأ اللقاء بلوم انطونيوس لكليوباترا ، وانتهى بإهدائها فينقيا وسوريا الوسطى وقبرص وأجزاء من قلقيلية وبلاد العرب وبلاد اليهود . ردت كليوباترا الهدية بأن دعته إلى الإسكندرية لينهل من حبها ويرتوى من جسدها . بينما كان انطونيوس يلهو فى الإسكندرية مع كليوباترا، كانت زوجته وأخوها يتآمران عليه مع اوكتافيان ليسقطاه وينتزعا سلطانه على روما . أقنع أوكتفيان مجلس الشيوخ الرومانى بأن كليوباترا تستخدم أنطونيوس للاستيلاء على الإمبراطورية الرومانية، ثم أعلن أوكتافيان الحرب على كليوباترا، وفى عام ٣١ ق.م التحم جيوش وأساطيل اوكتافيان، مع جيوش وأساطيل انطونيوس وكليوباترا عند أكتيوم . أحرق اوكتافيان أسطول انطونيوس فهرب إلى أسطول كليوباترا، وعاد أنطونيوس وكليوباترا إلى الإسكندرية يجران ثوب الخزى والهزيمة . حاول

انطونيوس وكليوباترا استرضاء أوكتافيان ولكنه رفض وتوجه بأسطوله إلى الإسكندرية، وحارب انطونيوس . ترامى إلى سمع انطونيوس أن كليوباترا قد ماتت فطعن نفسه بسيفه ثم علم ساعة احتضاره أن خبر موت كليوباترا كاذب فطلب من جنوده أن ينقلوه إليها . رأت كليوباترا أنها ستصبح أسيرة ذليلة بعد موت أنطونيو فانتحرت هى الأخرى . جلس أوكتافيان على عرش البطالمة فى مصر وورث أملاكهم، ثم ترك فى مصر حاكماً يدير شئون البلاد باسمه ، وهكذا أصبحت مصر تابعة للامبراطورية الرومانية فى عام ٣٠ قبل الميلاد .

سالومـــى :

تبدأ القصة من يوحنا المعمدان John the Baptist صاحب البشارة السابقة على ظهور السيد المسيح. كان يوحنا ابن الكاهن اليهودى زكريا Zechariah ، واليصابات Elizabeth قريبة السيدة مريم العذراء والتى عندما علمت أن مريم حامل من الروح القدس ذهبت لزيارتها وقالت لها : (مباركة انتى فى النساء ، مباركة هى ثمرة بطنك) . ولد يوحنا قبل السيد المسيح بعدة سنوات فى عهد كان فيه آلاف من اليهود المتدينين ينتظرون على أحر من الجمر مجىء منقذ إسرائيل التى كانت تعتبر جزءا من بلاد الشام المحتل من الإمبراطورية الرومانية ، والتى كانت تعانى من الفقر والمجون . وتذهب الأقاويل والأساطير القديمة إلى أن الملاك جبرائيل قد بشر والده زكريا بأن زوجته العجوز سوف تلد صبيا ، وسوف يسمى يوحنا أى « الإله رؤوف وكريم » .

وفى الثلاثينيات من عمره بدأ يوحنا البشارة ، وكان يحيا مثل الزهاد ، يرتدى ثوبا من الشعر ويعيش على الجراد الجاف وعسل النحل ، ويقف بجوار نهر الأردن يدعو اليهود إلى التوبة والغفران ، ويحذرهم من الوقوع فى الخطيئة ، ويطلب من المذنبين أن يستعدوا إلى الدار الآخرة ، معلنا قرب حلول مملكة السماء ، ويردد أنه إذا تابت بلاد اليهود كلها وتطهرت من الخطيئة جاء المسيح كمخلص الإنسان من ذنوبه وستحل مملكة السماء على الفور . يقول لوقا- صاحب الإنجيل الثالث – أنه

فى السنة الخامسة عشرة من حكم تيبريوس أو بعدها بقليل جاء يسوع المسيح إلى نهر الأردن ليعمد على يد يوحنا المعمدان، وأن السيد المسيح قد آمن بتعاليم يوحنا ، ولكن اختلف عنه أنه لم يعمد أحدا ولم يعش فى البيداء ، بل عاش العالم الواقعى .

لم ينقض وقت قصير على لقاء المسيح ويوحنا حتى أمر هيرودس أنتيباس – حاكم المدن الأربع فى الجليل وبيريا من قبل السلطة الرومانية – بسجن يوحنا . تقول الأناجيل أن سبب القبض على يوحنا هو انتقاده لهيرودس لأنه طلق زوجته ، وتزوج من هيروديا‌س التى كانت لا تزال زوجة لأخيه غير الشقيق فيليب ، وخاف الحاكم هيرودس أن يقوم يوحنا بإثارة القلاقل السياسية فى البلاد تحت ستار الإصلاح الدينى ، والتشهير بهذا الزواج الذى يعتبر فى حكم الزنا . حرضت هيروديا‌س ابنتها الفاتنة سالومى Salome ، وحثتها على الرقص أمام هيرودس وضيوفه شبه عارية فى يوم عيد من أعياد اليهود ، فافتتن هيرودس برقص سالومى المثير للغرائز وطلب منها أن تطلب أى شىء كمكافأة على رقصها وترفيهها لضيوفه طلبت سالومى من الحاكم هيرودوس رأس يوحنا المعمدان على أن يقدمه لها على طبق ، فأجابها على طلبها وهو كاره فعلته ، ولكن غالبا ما تتغلب الغريزة الجنسية على حكم العقل والأخلاق .

شجـرة الـــدر :

فى عام ١٢٤٠م استولى الملك الصالح على سلطنة مصر، وأخذ فى تثبيت حكمه وأمر فى السنة التالية بالقبض على الأمراء والمماليك الذين ساعدوه على خلع أخيه وبايعوه مكانه ، وقتلهم جميعا وولى مكانهم بعض من حاشيته وأتباعه . فى عهد الملك الصالح استطاعت الحملة الصليبية التى قادها ملك فرنسا لويس التاسع أن تحتل دمياط وأخذت فى الزحف نحو القاهرة ، فسار الملك الصالح لمقابلة الحملة ورابط فى المنصورة ولكنه مرض هناك مرض الموت . فلما توفى الملك الصالح كتمت زوجته شجرة الدر أمر موته ووقفت فى جمهور الأمراء قائلة : إن السلطان يأمركم أن تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم توران شاه وقد عين الأمير فخر الدين لإدارة الأحكام ، ثم

أرسلت هذه الأوامر إلى القاهرة فبايع جميع من فيها من القواد وأكابر السلطنة ، كما بعثت الرسائل فى ذلك مختومة بختم الملك الصالح إلى جميع أنحاء المملكة المصرية دون أن يعرف أحد بوفاة السلطان . أبدى الجيش المصرى بقيادة المماليك براعة فائقة فى القتال ، ودارت المعركة فى أزقة المنصورة وشوارعها ، وسقط من جيش الصليبيين الكثير ، وأسر عدد كبير منهم ، وكان من بينهم لويس التاسع ، الذى سيق مكبلا بالأغلال إلى دار القاضى فخر الدين بن لقمان حيث سجن . حضر توران شاه بعد المعركة ، فأسلمته شجرة الدر السلطة وحينئذ أعلنت وفاة الملك الصالح .

كانت شجرة الدر مملوكة من أصل جركسى أو تركى، وكانت جارية للسلطان الصالح فأعتقها وتزوجها ، اتسمت شجرة الدر بالذكاء والحزم خاصة فى وقت الشدائد . بالرغم من مساندة شجرة الدر للسلطان الجديد توران شاه إلا أنه تشكك فى أمانتها وثقتها ، كما لاحظ بوادر الغرور من المماليك وأظهر النية لكبح جماحهم . تآمرت شجرة الدر مع المماليك فقتلوا توران شاه بعد سبعين يوما من توليته الحكم ، واتفقت كلمة المماليك على أن تتولى شجرة الدر سلطنة البلاد ، وتولته فعلا حوالى ثلاثة شهور . استنكرت الخلافة العباسية أن تتولى أمر مصر امرأة ، فأرسل الخليفة العباسى إلى المماليك يقول : إن كان الرجال قد عدموا عندكم فأعلمونا لنرسل إليكم رجلا . فكرت شجرة الدر أن تتخلى عن عرش مصر – ظاهريا – فتزوجت الأمير عز الدين أيبك وكان من قادة المماليك . لم يكن أيبك ذا شخصية قوية ، لذا اختارته شجرة الدر ستارا لتحكم مصر من ورائه ، ولكن أراد أيبك أن يستبد بالسلطان دونها ، فحصل بينهما صراع خفى . فكر أيبك فى الزواج مرة ثانية من أميرة من الموصل ، فأغضب ذلك السلطانة شجرة الدر ، فدست عليه بعض من عبيدها فقتلوه . لم تنج شجرة الدر من مكيدتها ، فدبرت إحدى زوجات أيبك ، وأم طفله – والذى كان يعانى من العته – مكيدة لقتل شجرة الدر ، فقمن مجموعة من الجوارى بقتلها فى أثناء استحمامها، ويقال إنها قتلت ضرباً بالقباقيب، ونصب ابن أيبك سلطاناً على مصر،وتولى الوصاية عليه سيف الدين قطز من أمراء المماليك الخورازمية .

سميراميـــس :

قصة سميراميس هى أسطورة شرقية آشورية تدور أحداثها فى شمال بلاد بين النهرين (شمال العراق حاليا) . تحكى الأسطورة عن حدوث سيول على منابع نهر الفرات فى جبال أرمينيا، ففاض النهر وخرجت الأسماك تستلقى خارجه على الأرض . رأت سمكة بيضة كبيرة طافية على وجه الماء فسبحت إليها ودفعتها نحو الشاطئ، فإذا بحمامة بيضاء تهبط وتحتضن البيضة، وظلت تحميها حتى انحسر الفيضان . فقست البيضة وخرجت الربة «ديركيتو» بوجه امرأة وجسم سمكة . كبرت ديركيتو وملأت العالم الذى حولها بعدلها وحكمتها ، ثم رغبت فى أن تحمل فحملت ووضعت طفلة لها جسد إنسان كامل ينبعث منها النور لروعة جمالها . شاهدت ديركيتو ابنتها فملأها الذعر من أن ابنتها لم تحمل الشكل الإلهى مما يجعل الربات الآخريات ينظرن إليها بعين الشك والريبة ، ويعيرونها ويتهمنها بمعاشرة بنى البشر وهى منه براء . حملت ديركيتو ابنتها إلى الصحراء وتركتها جائعة وعارية، ليس حولها شىء غير البرد والريح .

كان إله نينوى العظيم بيلدس يطل من أعلى السموات فرأى منظر الطفلة المسكينة فى العراء ، فأرسل إليها سربا من الحمائم تحميها بأجنحتها من حر النهار وبرد الليل ، وينطلق البعض منها إلى حيث مساكن الرعاة فيحملن فى مناقيرهن نقطا من الحليب يلقينه فى فمها لتغذيتها . وبعد عدة شهور بدأت الحمائم فى التقاط قطع من الجبن ليقدمنه إلى الطفلة التى عاشت مع حمائمها سعيدة . كان الرعاة إذا عادوا فى المساء يرون جبنهم منقورا فيندهشون ، فقرروا أن يتركوا واحدا منهم يراقب المكان فى أثناء غيابهم . شهد الراعى الحمائم وهى تحط حول الجبن وتلتقط قطع صغيرة منه ثم تطير فتبعها حتى وصل إلى مكان الصبية التى كانت ذات جمال خلاب فحملها إلى خيام عشيرته على أمل ان يبيعونها فى سوق بلدة نينوى . حمل الرعاة الصبية الحسناء إلى نينوى وكانوا قد أطلقوا عليها اسم سميراميس وتعنى «الحمامة البيضاء».

اتفق يوم وصول الرعاة إلى سوق البلدة أنه اليوم السنوى للزواج حيث تجتمع فى السوق الكبير الشباب والشابات بغرض التعارف من أجل الزواج . شاهد «سيبا» ناظر أسطبل خيول الملك الصبية الجميلة سميراميس وكان عقيما لا ولد له ، فهفا قلبه إليها وقرر شرائها وتبنيها . عاد سيبا بالصبية إلى المنزل فسعدت بها زوجته وظلت ترعاها حتى كبرت واستدارات وبرزت مفاتن أنوثتها كأجمل ما تكون النساء . فى يوم من الأيام جاء إلى مربط الخيول « مينوتس » وزير الملك وقائد جيوشه فرأى سميراميس بكل روعتها وبهائها ، فانبهر بها ثم دعا الفتاة إلى حديقة القصر ليتسامرا . سأل مينوتس الفتاة عن كونها ، فأجابت بأنها ابنة ناظر إسطبل الملك . نادى الوزير على سيبا وسأله عن الفتاة ، فلم يستطيع الكذب وأخبره عن الرواية من البداية إلى النهاية . أخرج الوزير « صرة » من المال وألقاها إلى سيبا مقابل الفتاة ثم انطلق بها فى طريقه إلى العاصمة .

مال قلب الوزير وشغف بالصبية الحسناء سميراميس ، وعندما وصل القصر سلمها للماشطات والمزينات وأخرج لها من خزائنه كل ما هو ثمين من الحلى والجواهر ، ثم تزوجها فى ليلة فرح لم تشهدها البلاد من قبل . كانت سميراميس فى المقام الأول من محظيات الوزير ونسائه ، وكان الوزير لا يطيق فراقها ، بينما كانت هى تغذى هذا الشوق بالدلال ، وتثير فيه الرغبة والاشتياق لتتحكم فى أموره ويخضع لرغباتها ويأخذ بآرائها فى كل أحداث ومهام الوزارة . ومرت الأيام وسميراميس هى كل شىء فى حياة الوزير ، وحياة الشعب الذى تعلق بها منذ أن خططت ونفذت سقوط أضخم حصن من حصون الأعداء .

كان الملك « تينوس » قد ثبت ملكه وانتهى من تشييد عاصمة له ، ومتطلعا إلى تحقيق أمجاد جديدة ، ثم استقر رأيه بمشورة وزيره على غزو ممالك أخرى مجاورة ، وأرسل جيشه خارج حدود بلاده نحو الشرق . حاول الملك بجيوشه اقتحام أسوار عاصمة الأعداء ولكنه فشل ، فقرر حصارها . ولما طالت مدة الحصار ، أرسل الوزير لاستدعاء زوجته سميراميس إلى ميدان القتال حضرت سميراميس ولم

يعرفها رجال الجيش ، فقد كانت ترتدى ملابس الرجال . طلع الصباح ، ووقفت سميراميس على باب خيمتها تتأمل عاصمة الأعداء التى أنهكت الجيش ، فلاحظت أن تركيز الجيش كان مركزا وموجها إلى الجزء القائم فى السهل وليس ضد القلعة الرئيسية ، مما جعل الأعداء يحرسونها بقليل من الحراس. انطلقت سميراميس فأيقظت زوجها ، وأقنعته بخطتها لاقتحام القلعة بقيادتها . لم تمر ساعات قليلة على الهجوم وإذا سميراميس واقفة على قمة القلعة تلوح بذراعها وتدعو باقى الجيش للانضمام إليها . عرف الملك بالانتصار فسأل وزيره عن المرأة التى قادت جيشه للفوز واقتحام بلاد الأعداء . شعر الوزير مينوتس بقرب الكارثة ، فقد أدرك أن سميراميس قد راقت فى عينى الملك ، ولكنه لم يجد جوابا إلا أن يقول : إنها زوجتى يا مولاى . عاد الملك إلى عاصمته ودخل قصره ثم قام بدعوة سميراميس التى حضرت إلى مقام الملك محمولة على محفة يرفعها أربعة من العبيد ويتبعها وصيفتان جميلتان . انهار قلب الملك عند رؤيتها وخفق قلبه أمام نظرات سميراميس المفعمة بالرغبة وبالدلال مع لباس قناع المزيج من الدعوة والفتور . بعد قليل من اللقاء ، ومن شدة لهيب النظرات ، قرر الملك أن تترك سميراميس زوجها لتكون له وحده . اسودت الدنيا فى عين الوزير وغشاه الألم والحزن ، ويأس من الحياة ، وحكم على نفسه بالموت شنقا ، وتدلت جثته من غصن قوى فى شجرة من أشجار حديقته ، وتركت الجثة دون أن يتنبه أحد من أن يواريها التراب .

بلغ سميراميس خبر انتحار زوجها الوزير وهى فى طريقها إلى قصر الملك العظيم ، فلم تبال أو يرمش لها جفن ، فما كان يهمها من أمر زوجها شيئا ، ولكن انصبت أحلامها على الحكم والسيطرة والمجد والسلطان . دخلت سميراميس القصر لتجد العديد من الزوجات والمحظيات ، ولكن بجمالها ودهائها استطاعت أن تجعل الملك يكتفى بها وحدها ويطرد جميع محظيات القصر ، ثم رفعها لتكون ملكة على البلاد ، ثم ولدت له ولدا اسماه « ميناس » . وعلى مر الأيام عرفت أن تجعل من نفسها كل شىء فى القصر ، وتمكنت من ألا يطيق الملك فراقها لحظة واحدة ، حتى للخروج إلى الحرب أو التصدى للأعداء، أو لإخماد ثورة داخلية .

لم يخبو من حواء طبعها وغدرها مهما أنعم الله عليها من جناته، ففى ذات مساء، وفى جلسة أنس وانسجام ، وفى لحظة لوعة الاشتياق طلبت سميراميس من زوجها الملك أن يسلمها سلطته كلها لفترة ثلاثة أيام ، تجلس فيها على العرش وحدها ويكون لها فى أثناء هذه المدة أن تأمر فتطاع ، حتى لو كان الأمر صادرا إليه هو نفسه. ابتسم الملك ثم ضحك وقال لها: لك ما تريدين . جلست سميراميس على عرش نينوى تأمر وتنهى وتحكم ، وانقضى اليوم الأول بسلام . وطلع صباح اليوم الثانى ، فكان أول أمر أصدرته للجنود أن يقبضوا على الملك . أطاع الجنود الأمر ، واقتيد نينوس إلى السجن بينما هو يستعطفها فى ذلة وخضوع ، فابتسمت ساخرة ثم أمرت الجنود بأن يذبحوه . لم تعد سميراميس ابنة الحمائم الوديعة ، فلقد أصبحت أكثر قسوة من كل طغاة بابل وآشور .

علم الشعب بما فعلته الملكة ، فهاج وثار وزحف إلى القصر يهتف بسقوط الملكة وينادى بقطع رأسها . تلقت سميراميس نبأ الثورة وهى فى الحمام ، فلم يأخذها الرعب أو الرهبة ، بل خرجت من الحمام وهى نصف عارية وغدائر شعرها تنسدل على كتفها ، وأطلت من شرفة القصر ، فتحول الصخب فجأة إلى همس ضئيل ، ثم إلى سكون فى ذهول، وأخيرا إلى هتاف لحياة الملكة، وسجد الجميع وتفرق الجمع... فقد أصبحت سميراميس فى نظر الشعب فى مقام الآلهة ، بعد أن فتنتهم بجمالها ولجمتهم بقوة شخصيتها .

جلست سميراميس وحدها على عرش آشور تحكم دولة مترامية الأطراف وتقود الشعب من مجد إلى آخر ، تغزو جيرانها وتحطم شوكة الثوار . زاد طمع سميراميس فتطلعت إلى غزو بلاد بعيدة فاتجهت إلى الهند على رأس جيشها الجبار ، حتى بلغت أطراف الهند وقد أنهك الجيش طول السفر . بدأت المعركة وتظاهر ملك الهند بالتراجع والهرب فانطلق جيش سميراميس وراءه بغير خطة أو نظام بغية الغنائم والأسلاب . ولما أخذ من جيش سميراميس التعب والإرهاق ، دخل ميدان المعركة جيش ثان من جيوش الهند مستخدمين الأفيال المتدربة على الهجوم ، فانهزم

جيش سميراميس ، وفر الرجال عائدين إلى نينوى دون نظام أو سلاح . وصلت سميراميس إلى مملكتها فى أقل من ربع جيشها وهى ضعيفة القوى من سهم أصابها فى أثناء المعركة . حدث فى أثناء حملة سميراميس الفاشلة ، أن ابنها ميناس قد ضاق من وضعه فى المملكة وطمع فى الحصول على السلطان . شعرت سميراميس بعد عودتها بما يحاك حولها من مؤامرات فحاولت أن تستميل ابنها بأن تتزوجه ، ولكن لم يمنع هذا الزواج من استمرار حصار سميراميس وتطويق نفوذها . أتعب فشل الحملة وجهد السنين من عزيمة سميراميس ، فلم تجد حلا إلا أن تتنازل عن العرش لابنها. خلعت سميراميس التاج الذى لبسته بالغدر والخيانة وخرجت من عاصمتها الجديدة بابل التى شيدتها فى أيام مجدها لتعود إلى الصحراء التى تلقتها وهى وليدة ، وهناك عاشت وحيدة ومنبوذة . لم تطق سميراميس صبرا على هذه الحياة ، وعلى الذل بعد المجد والمكانة، فرفعت يديها إلى السماء تنادى الإله بلموس أن يأخذها إليه. استجاب رب الأرباب لدعاء سميراميس فحولها إلى حمامة بيضاء ترفرف وتطير فى السماء مع أسراب الحمام .

أسطورة الكسندرا :

تحكى الأسطورة الإغريقية التى وقعت أحداثها فى بلاد اليونان القديمة عن الأميرة كاسندرا Cassandra والتى كانت تسمى أيضا الكسندرا . كانت كاسندرا ابنة ملك طراودة بريام والملكة هيكوبا،وشقيقة هيكتور وباريس وهم من أبطال الأسطورة الإغريقية الشهيرة "حصان طروادة" . تذهب الإسطورة إلى أن الإله أبوللو Apollo ــ إله الشمس والضوء وكبير الآلهة بعد زيوس ــ قد وقع فى حب كاسندرا، فأنعم عليها بموهبة العلم والتنبؤ بالغيب، والقدرة على إقناع الآخرين بما تقول، وذلك مقابل وعد منها أن تبادله الحب وتستسلم له . فلما أخلفت كاسندرا وعدها غضب أبوللو وخطط للانتقام منها، فتوسل إليها أن تمنحه قبلة واحدة أخيرة، وأمام توسلاته وافقت على منحه ما اشتهى . بعد أن انتهى أبوللو من تقبيل كاسندرا، نفخ فى فمها نفحة إلهية فذهبت عنها القدرة على الإقناع، مع احتفاظها

بموهبة معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل، ولكن لا يصدقها أحد . حذرت كاسندرا الطرواديين من حيلة الحصان الخشبى – فى أثناء حصار طراودة – وأخبرت أباها وأخويها أن الجنود الغزاه يختبئون داخل الحصان، ولكن قوبل تحذيرها بالتجاهل والصمت وعدم التصديق . وعندما استولى اليونانون على مدينة طراودة وقعت أسيرة من نصيب قائد الحملة أجا ممنون، فحذرته من أن زوجته سوف تقتله فلم يصدقها ، وفى النهاية تقوم زوجة أجا ممنون وعشيقها بقتل أجاممنون وكاسندرا وأبنائهما ... تخلص الأسطورة إلى أن انتقام الآلهة هو جزاء عدم الوفاء بالعهد ، وعدم الالتزام بالوعد .

أسطورة بندورا :

أسطورة بندورا Pandora من الأساطير الإغريقية الشيقة التى تمثل طباع المرأة فى فكر الحضارات القديمة عن خلق أول امرأة فى الكون . تحكى هذه الأسطورة عن رب الأرباب الإغريقى زيوس / جوبيتر Zeus / Jupiter ، الذى غضب فجأة من المخلوق البشرى من الرجال وأراد معاقبتهم ، فأمر هيفيستوس، / Vulcanus Hephaestus (إله النار والفنون الخاصة بالتعامل معها واستخدامها) بصنع امرأة . كانت هذه المرأة هى بندورا أول من خلق من النساء ، ويعنى اسمها "جميع الهدايا" اكتسبت بندورا هذا الاسم لأنه عند صنعها أو خلقها قامت الآلهة الإغريقية بتقديم الهدايا لها . قامت الإله أفروديت / فينوس Aphrodite / Venus بمنحها الحسن والجمال والسحنة الخلابة ، وعلمتها الإله أثينا / مينرفا Athene / Minerva جميع المهارات التى تحلت بها المرأة والأنشطة التى قامت بها بعد ذلك ، أما الإله هيرمز / ميركيريوس Hermes / Mercurius فقد قام بتعليمها الحكمة والحنكة ، والأسلوب السلس والناعم فى الكلام لتستطيع إقناع الآخرين والتأثير عليهم.

أرسل زيوس بنودرا إلى الأرض مع صندوق إلى ابيميثيس Epimetheus ، الزوج الذى اختاره زيوس لبندورا . كان إبيميثيس ابن لكليمينى Clymene ، وإيابيتوس Iapetus ، وأخ لبروميثيوس Prometheus الحكيم ذا العقل الثاقب .

حذر بروميثيوس أخاه من قبول هدية زيوس ، كما نصحه بعدم الزواج من بندورا ، ولكن إبيميثيوس لم يرضخ لحكم أخيه ونصيحته . كان صندوق بندورا – الذى يعتبر دوطة Dowry أو مهر لزوجها – يحتوى على جميع الأمراض البشرية ، وكذلك الندم والأسف ، والحزن،والهم . تغلب حب الاستطلاع على الحكمة والروية فقام كل من بندورا وإبيمثيوس بفتح الصندوق ، الذى انبثق منه جميع الشرور ، والكوارث ، والأمراض والأوبئة ، التى عاش بها ومعها الجنس البشرى بعد ذلك . استطاعا الزوجان إغلاق الصندوق بسرعة ، لمنع هروب الأمل . ظل الأمل كامنا داخل الصندوق يخدع الجنس البشرى بإمكانية حدوث ما يتمنون ، ويحتال على البشر بإدخال الشعور بالبهجة والسرور فى قلوبهم ، على أمل السعادة الأبدية التى لن تتحقق .

أسطورة سيكوندس :

عاش سيكوندس فى بلاد اليونان القديمة فى ثقافة ترى المرأة غير جديرة بالثقة ، وأنها آثمة ومصدر كل الخطر والمتاعب . حكمت الأقدار على سيكوندس أن يترك أمه وهو طفل صغير، ويهيم على وجهه فى جميع أنحاء البلاد، فى رحلة طويلة وشاقة، مليئة بالأهوال والمغامرات ، عانى فيها من القسوة والحرمان . عاد سيكوندس مرة ثانية إلى مدينته وهو شاب يافع ملىء بالقوة ويتحلى بريعان الشباب. التقى سيكوندس بأمه دون أن تتعرف عليه، واستطاع إقناعها بأنه غريب عن المدينة ، محاولا إغرائها بالمال وعنفوان الشباب ليقيم معها علاقة جنسية ، وذلك لاختبارها والتأكد من فكرته القديمة التى تشبع بها منذ طفولته عن المرأة التى هى أساس الإثم والخطيئة . توافق الأم بعد عدة محاولات ، ولكن سيكوندس لم يفعل معها شيئا سوى أنه نام على صدرها . وفى الصباح حاولت الأم أن تجد تفسيرًا لهذا اللغز الغامض ، عن هذا الشاب الغريب الذى أغراها وأغواها بشتى الطرق وما إن وافقت على مراده إذ هو لا يفعل شيئا . عندما كشف سيكوندس عن هويته ، وأخبر أمه عن حقيقته ، أقدمت الأم على الانتحار . ومن وقتها اختار سيكوندس الصمت

فى حياته ، دون أن يعرف أحد سببا لسلوكه الغامض ، وطبعه الصامت ، وهل هو حزنا على انتحار أمه ، أو كمدا من ثبوت فكرته عن المرأة .

ميســـالينـا :

بعد أن حكم قيصر روما جايوس لمدة أربعة أعوام قتله حرسه فى عام ٤١ ميلاديا . أطلق أهل روما على جايوس اسم كاليجولا Caligula أى الحذاء النصفى الذى كان يحتذيه الجيش نظرا لأنه نشأ بين الجند ولبس لباسهم . اتسم عهد كاليجولا بالعبث والفسق والفجور ، تنتابه نوبات من الصرع والجنون ، وعاش مصابا بالأرق يطوف ليله فى جنبات قصره الواسع ، يرقص ويمثل لنفسه . طغى القيصر الشاب وطلب من أعضاء مجلس الشيوخ أن يقبلوا قدميه تعظيما وتبجيلا ، وكان يأمل أن يعبده شعبه كما كان يعبد المصريون ملوك مصر الفراعنة . ضاق جنود روما بمجون وجنون قيصرهم فاغتالوه ، وعثر حراس القصر على كلوديوس عم كاليجولا والذى كان يتظاهر بالبلاهة ، مختبأ فى أحد أركان القصر فنادوا به إمبراطورا على روما ، وخشى مجلس الشيوخ من جنود القيصر فأيدوا هذا الاختيار . كان كلوديوس فى هذا الوقت يبلغ من العمر خمسين عاما ، وكان أقرباؤه يرونه إنسانا مريضا ضعيف العقل، فقد أصيب فى الصغر بشلل الأطفال وغيره من الأمراض التى أضعفت بنيته ، وطالما تظاهر بالغباء حتى ينجو من جبروت ابن أخيه كاليجولا .

أدار كلوديوس حكم روما بأمانة واعتدال ، مما أدهش الناس جميعا حين ظهر بأنه ذو خلق وإرادة، وعلم وذكاء . سعى كلوديوس إلى إصلاح إدارات الحكم المختلفة ، وشيد المبانى وأنشأ الخدمات العامة، وأصلح نظام المرافعات أمام المحاكم وفرض عقوبات على تأخير القضايا ، وحرم تعذيب المواطنين ، وعاقب الموظفين على سوء استخدام سلطة وظائفهم ، فازدهرت أحوال الولايات فى عهده، وقوى الجيش فى الإمبراطورية الرومانية . بالرغم من نجاح كلوديوس فى الحكم إلا أنه كان أقل حظاً فى حياته الخاصة ، فقد تزوج أربع مرات ، الأولى ماتت فى يوم زفافها ،

وأما الثانية والثالثة فقد طلقهما، ولما بلغ الثامنة والأربعين من عمره تزوج من فلريا ميساليا Messalina، ذات السادسة عشرة ربيعاً، وبطلة قصتنا .

لم تكن ميساليا بارعة الجمال، ولكنها كانت عابثة وفاجرة . لما اعتلى زوجها عرش روما، أمرت زوجها أن ترافقه فى مواكب نصره، كما كانت تحتفل بأعياد ميلادها فى جميع أنحاء الإمبراطورية . أحبت ميساليا الراقص منستر، وعندما رفض الانصياع إلى مجونها طلبت من زوجها إزغامه على إطاعة جميع رغباتها، فخاف الراقص واستجاب لأوامرها من منطلق «دواع وطنية» . كررت ميساليا هذا الأسلوب مع غيره من الرجال، فتمتعت بشبابهم وفحولتهم . أما الذين ظلوا على صدودهم فقد اتهمهم الموظفون الخاضعون لسلطانها بجرائم تؤدى إلى الإعدام أو مصادرة أملاكهم . كان الإمبراطور يسمح بأعمال ميساليا الشاذة والعابثة حتى يضمن لنفسه أيضاً حرية الاستمتاع بملذات وترف حكم الإمبراطورية الرومانية، فقد كان كلوديوس مفرطاً فى شهواته وأهوائه، حتى إن ميساليا كانت تقدم له الفتيات بنفسها حتى يتغاضى عن فضائحها .

أطلقت ميساليا لشهواتها وعبثها العنان، وبلغت من استهتارها أن تزوجت رسمياً ـ وهى زوجة للإمبراطور ـ من شاب وسيم عندما كان زوجها غائباً فى أستيا. أبلغ الإمبراطور واحدا من رجاله بما فعلته ميساليا، وحذره من أنها تدبر لاغتياله وتنصيب آخر على العرش مكانه . عجل كلوديوس بالعودة إلى روما، واستدعى الحرس الإمبراطورى، وأمر بذبح الخونة وغيرهم من عشاق ميساليا، ثم ذهب إلى حجرته منهوك القوى، ومحطم الأعصاب . أما الإمبراطورة ميساليا فقد توارت فى حدائق لوكلس التى كانت قد صادرتها من أصحابها واتخذتها مكانا للهوها وملذاتها أرسل الإمبراطور إليها برسالة يدعوها إلى الحضور للدفاع عن نفسها، خشى قادة جنود الإمبراطور أن يصفح عنها، فأرسلوا بعض الجنود لقتلها، فوجدوها وحدها مع أمها، وعاجلوها بضربة سيف واحدة، وتركوا جثتها بين ذراعى أمها .

تيودورا .... الحقد الأسود :

جاءت إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية وهى صبية صغيرة، بصحبة أبيها وأمها وشقيقتيها، سعياً وراء الرزق والبحث عن عمل، بعد أن عانت عائلتها من فقر وحرمان وشظف العيش . تشردت العائلة زمناً ليس بالقصير حتى وجد رب الأسرة وظيفة مروض للدببة فى حظيرة للحيوانات الضارية فاستطاعت الأسرة أن تسد جوع يومها، ولكن دوام الحال من المحال، فقد افترس الأب دب مفترس ولم يتركه إلا وهو جثة هامدة، فعادت تيودورا وعائلتها إلى حياة المعاناة والحرمان فى عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التى تسطع أنوارها طوال الليل .

شدت الأضواء الساهرة الصبية الجميلة تيودورا، فاندفعت للعمل فى الحانات المتناثرة من أجل أمها التى أخذ منها المرض، وتنقلت فى أعمال أخرى فاشتغلت مهرجة فى السيرك، ثم احترفت الرقص والتمثيل فى الحانات الفقيرة الممتدة على جوانب البسفور ، لتتمايل أمام روادها من الدهماء والصعاليك ، تعانى من شقاء رعاية البيت صباحاً ومن مضايقات السكارى ليلاً . تولد الألم من شدة المعاناة، وزكت الأحقاد قيام الشرطة بدمغها بسيخ محمى من الحديد باعتبارها من فتيات الليل .

بعد ما أوصدت الأقدار أبوابها لجأت تيودورا إلى صديقة قديمة كانت تزاملها العمل فى المسرح،وكانت على علاقة طيبة بولى العهد الأمير جستنيان الذى كان من رواد المسارح والحانات فى صدر شبابه . أعطت الصديقة إلى تيودورا خطاب توصية إلى الأمير للعمل فى مسرح كبير ، وتجسدت مفاتن وحيل الأنثى فيها حتى استطاعت الصبية التى لم تتجاوز العشرين من العمر أن تخترق الحواجز وتعبر العراقيل لمقابلة الأمير وهى فى أبهى صورة لها من الفتنة والدلال. أشعلت تيودورا فى الأمير نيران الشهوة والرغبة، وتحجرت مقلتاه عند رؤية هذا البهاء الساطع، وبعد فترةٍ صمت قصيرة، قال الأمير لتيودورا: لن تعملى فى المسرح، ولن تبارحى هذا القصر ... ستمكثين معى إلى النهاية .

استطاعت تيودورا التى أطلق عليها رواد المسرح لقب «شعلة النار التى لا تخمد » أن تشعل نيران الوجد والهوى فى قلب الأمير، الذى استطاع أن يحصل من الإمبراطور على موافقته لإلغاء القانون الذى يحرم على الخاصة أن يتزوجوا بالعامة ــ وبخاصة الراقصات والمغنيات ــ وتم زواج ولى العهد من تيودورا،وتفتحت أبواب السعادة لها، وأقبل عليها جموع النبلاء والنبيلات مهنئين وطامعين فى رضاها. اعتلى جستنيان العرش بعد وفاة الإمبراطور وأصبحت تيودورا إمبراطورة القسطنطينية . عملت تيودورا بذكائها الإنثوى على أن تحتاط من النبلاء المتربصين بالعرش ونصحت زوجها بأن يغير من رجال القصر ويختار آخر يدين بالطاعة والولاء للإمبراطور الجديد . كانت تيودورا تعلم أن كثيرا من النبلاء والأثرياء يكنون لها المقت والكراهية، وكان أشدهم كرهاً لها محافظ القسطنطينية، ولم تجد تيودورا صعوبة فى إقناع زوجها الإمبراطور باستمالة قائد الجيش بليزاريوس المنتصر على الفرس،بمنحه إقطاعيات وأرفع وسام فى الدولة، وذلك للوقوف أمام محافظ المدينة والمعارض لها ، والتصدى له إذا اقتضت الحاجة .

استطاعت تيودورا أن تمسك بناصية الأمور بيد من حديد ، فكانت تنتقم من جميع من آذوها أو تحاملوا عليها ، وشمل بطشها الأمراء والنبلاء والأشراف ، وأقالت محافظ القسطنطينية من منصبه، وغرزت أنيابها ومخالبها فى جميع أكابر الإمبراطورية ، ولما انتهت من الأكابر اتجهت إلى الفقراء والمساكين . استغلت تيودورا انشغال زوجها الإمبراطور بأمور القوانين واللوائح تاركا لها تسيير أمور الدولة ، ففرضت على الشعب بمختلف طبقاته أشد أنواع الضرائب ظلما وجباية . وتمر الأيام وهى تمارس على الجميع شهوة الانتقام وتبث فيهم سموم حقدها وغلها، حتى فاض بالشعب الكيل وثار عليها، وارتفعت الصيحات بالقضاء على الإمبراطور والحرق للعاهرة تيودورا . حدث الصدام بين جموع الشعب ورجال الشرطة ، وتحولت الشوارع والميادين إلى ثكنات عسكرية ، ولما استفحل الأمر لجأت تيودورا إلى الحيلة الأنثوية . كانت تيودورا تعانى من المرض ، ولكن الرغبة فى الانتقام أعطتها القوة لتستند على ذراع وصيفتها وتعلن للشعب أنها ستوزع الطعام

مجانا . كم دعتهم إلى حفلة عامة فى إحدى الميادين الكبيرة ؛ فتحول الدعاء عليها ، إلى الدعاء لها .... وهذا هو حال الدهاء. وفى الحفل شرب شعب القسطنطينية من الخمر ما لم يشربه طوال حياته ، وأصبح جموع الشعب سكارى لا يميزون شيئا . فى هذه الأثناء التف الحرس الإمبراطورى – بقيادة بليزاريوس الذى عينته تيودورا – وشدوا الجنود السهام التى انهالت على الشعب العُزل من السلاح ، بينما تيودورا فى فراشها تبتسم من نجاح انتقامها من الجميع .

أسطورة هنديـــة :

فى البدء خلق الله العالم والسموات والأرض وما فيها وما عليها من أشجار وغابات وبحار وأنهار، وكل دابة من حيوان وطيور وأسماك ، ثم خلق الرجل . ولما جاء ليصنع المرأة وجد أنه قد استنفد فى صنع العالم والرجل جميع المواد والعناصر التى كانت لديه . عمد الخالق إلى هذا العالم الذى خلقه واستخلص منه المرأة على الشكل التالى : أخذ من القمر مسامرته ، ومن البحر عمقه ، ومن الأمواج مدها وجزرها ، ومن النجوم لمعانها ، ومن الشمس حرارتها ، ومن الندى قطراته ، ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها ، ومن النبات ارتجافه وارتعاشه ، ومن الورد لونه وعطره، ومن الأزهار جمالها ، ومن أوراق الأشجار خضرتها ، ومن الأغصان تمايلها ، ومن حفيف الأشجار حنينها وأنينها ، ومن النسيم لطفه ورقته ، ومن العسل شهده ، ومن العلقم مرارته ، ومن الذهب بريقه ، ومن الماس قساوته ، ومن الحية حكمتها ، ومن الحرباء تلونها ، ومن الغزال شروده ، ومن المها عيونها ، ومن الأرنب خجلها وحياءها ، ومن النمر شراسته ، ومن الطاووس خيلاءه وزهوه ، ومن الثعلب مكره، ومن العقرب لدغته ، ومن الببغاء ثرثرته.. وأخيرا من الزمان غدره وخيانته.

جمع الخالق جميع المواد السابق ذكرها وسكبها فى بوتقه وصهرها على نار هادئة ، وصنع منها المرأة ثم أعطاها للرجل . وبعد سبعة أيام من الزمان جاء الرجل إلى الخالق قائلا : يا رب .. ان المرأة التى أعطيتنى قد سممت أوقاتى ، ونغصت على حياتى ... إنها تتألم بلا انقطاع ، وتبكى بلا سبب ، إنها نحيفة ومستضعفة ولكن

مطالبها لا حد لها، إنها تستاء من أقل شيء ، وتتألم من كل شيء ... خذها وأرحنى، وارحمنى منها يا رب . وأخذ الله المرأة ، إشفاقا على الرجل .

ومرت أيام قليلة وعاد الرجل إلى الخالق قائلا : يا رب إن حياتى من دون امرأة أشبه بالوحدة والانفراد ، كل العالم الذى أعطيتنى – بدون المرأة – أشبه بمنفى أليم بالنسبة لى . أنا تعيس يا رب .... إنى الآن أتذكر كيف كانت تحبب إلى الحياة ، وكيف كانت تبتسم فتجدد نشاطى وتمنحنى الأمل والرغبة فى العمل ، كانت إذا ضحكت تتبدد همومى ، وكانت إذا ارتمت بين ذراعى تمنحنى اللذة والسعادة ، كانت المرأة تخفف من آلامى ، وتعطى بهجة لأحلامى ... أرجعها إلى يا رب . فأعاد الخالق المرأة إلى الرجل مرة ثانية .

ومرت عدة أيام أخرى ، رجع الرجل إلى الخالق باكيا وشاكيا ، قائلا للرب : إننى لا أفهم نفسى ، احترت منها وفيها ، ولكنى متأكد أن المرأة تزعجنى وتشقينى أكثر مما تريحنى وتسرنى ... خذها وأرحنى منها يا رب . غضب الخالق من الرجل وقال : خذ المرأة وإذهب أيها الرجل ، ولا تعد إلى مرة ثانية . وأخذ الرجل المرأة ، وهو يندب سوء حظه ، ويقول فى سره : يالشقائى ! ..... إنى لا أستطيع أن أعيش مع المرأة ، ولا أستطيع أن أعيش من دونها .

ألف ليلة وليلة :

من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ، حكى عن ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم ، وله ولدان ، الكبير اسمه الملك شهريار وأخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان . كان الملكان عادلان ، يحكمان مملكتهما وهما فى غاية البسط والانشراح ، لياليهما سرور وأفراح . فى يوم من الأيام اشتاق الأخ الكبير إلى أخيه الصغير ، فعزم على السفر فى جوقة من خدمه وأعوانه ومعهم الخيل والحمير والبعير . بعد أن ترك شهريار مملكته بوقت قصير ، تذكر أنه نسى شيئا فرجع إلى قصره ، فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبد أسود من العبيد ، فلما رأى ذلك أظلمت الدنيا فى وجهه وقال فى نفسه : إذا كان هذا الأمر

قد وقع من هذه الخاطئة وأنا لم أتركها إلا منذ قليل ، فكيف يكون أمر هذه العاهرة إذا غبت عند أخي لوقت طويل . سل الملك شهريار سيفه وضرب أعناق الاثنين فقتلهما فى الفراش ، ورجع إلى القافلة وأمرها بالرحيل ، وسار إلى أن وصل إلى مدينة أخيه ففرح بقدومه، وجلس معه يسأله عن أحواله وشئونه ، وعن مدينته وزوجته . تذكر شهريار أمر الخيانة، وطار فرح لقاء أخيه من زمامه ، واكفهر وجه وظهرت أحزانه . لما رآه أخوه على هذه الحالة ، ظن أن السبب هو لوعة الفراق لزوجته الجميلة ، فترك سبيله .

ومرت الأيام وعزم الملك شاه زمان على السفر إلى الصيد والقنص ، وطلب من أخوه شهريار الصحبة للترفيه والاستمتاع ، والتجوال فى بلاد الله للاطلاع، ولكنه امتنع وأخبر شاه زمان أن فى داخله جرح لم يندمل . سافر شاه زمان وحده للصيد تاركا أخاه يتجرع آلامه - ويبكى لأحزانه ، ولما طالت الغمة أراد شهريار التسرية والترفيه فذهب إلى شبابيك القصر التى كانت تطل على بساتين قصر أخيه ، فإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه إلى الحديقة عشرون جارية وعشرون عبدا ، يتوسطهم امرأة أخيه وهى فى غاية الحسن والجمال ، ثم خلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم ، ونادت امرأة الملك على عبد اسمه مسعود فعانقته وقبلته ثم وقعت الفاحشة . لما رأى شهريار ذلك قال إن بليتى أخف من هذه البلية ، وهان ما عنده من القهر والغم. جاء الملك شاه زمان من السفر فوجد أخاه شهريار فى صحة جيدة، وقد احمر وجه وصار يأكل بشهية زائدة ، فسأل شاه الزمان أخاه عن هذا التغيير فأخبره شهريار بتفاصيل الحكاية من خيانة زوجته وخيانة زوجة أخيه . طار عقل شاه زمان من رأسه وقال لأخيه: قم بنا نسافر إلى حال سبيلنا ، فليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثل ما جرى لنا ، ويكون موتنا خير من حياتنا ، فى دنيا بها المرأة هى الخيانة والخطيئة بذاتها .

خرج الأخان الملكان من باب القصر سرًا ، ولم يزالا مسافرين أياما وليالى إلى أن وصلا إلى شجرة فى وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العينُ وارتويا . فلما كان بعد ساعة مضت من النهار ، هاجت أمواج البحر وطلع

منها عمود أسود صاعد إلى السماء . لما رأى الأخوان هذا المنظر خافا وصعدا إلى شجرة عالية ، وصارا ينظران ماذا يكون الخبر ، فإذا بجنى طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر على رأسه صندوق ، فطلع إلى البر وأتى الشجرة التى قبع الأخوان فوقها وجلس تحتها ، وفتح الصندوق وأخرج منها علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية المحيا، جميلة كأنها الشمس المضيئة . نظر الجنى إلى الصبية وقال : يا سيدة الحرائر التى قد اختطفتك ليلة عرسك أريد أن أنام قليلا ، ثم وضع الجنى رأسه على ركبتها وأخذه سبات من النوم . رفعت الصبية رأسها إلى أعلى الشجرة فرأت الملكين ، فرفعت رأس الجنى من فوق ركبتها ووضعتها على الأرض ، ووقفت تحت الشجرة ، وقالت لهما: بالإشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت ، فقالا لها : عليك أن تسامحينا من هذا الأمر ، فهددتهما إن لم ينزلا فسوف تنبه العفريت فيقتلهما شر قتلة ، فخافا ونزلا إليها ، فطلبت منهما الفاحشة وإلا سيكون مصيرهما القتل من العفريت . لما فرغ الأخوان منها ، أخرجت الفتاة من جيبها كيسا به عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما ، وقالت لهما: أتدرون ما هذه؟ فقالا لها: لاندرى ، فقالت لهما: أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة من هذا العفريت ، فأعطيانى خاتميكما أنتما الاثنين ، فأعطياها من يديهما خاتمين . سأل الملكان الفتاة عن سرها ، فقالت: إن هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى ، ثم وضعنى داخل علبة وجعل العلبة داخل صندوق ، ورمى على الصندوق سبعة أقفال ، وجعلنى فى قاع البحر العجاج المتلاطم الأمواج ، ولا يعلم أن المرأة منا إذا أرادت أمرا لم يغلبها شيء . فلما سمعا الأخوان هذا الكلام تعجبا غاية العجب ، وقالا لبعضهما : إذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم ما جرى لنا ، فهذا شيء يعزينا ويسلينا ، ثم انصرفا لحالهما ورجعا إلى مدينة الملك شهريار ومكثا معا لفترة ، ثم ترك شاه الزمان أخاه وعاد إلى مملكته .

بعد أن جرت هذه الأمور ، صار الملك شهريار يأخذ كل ليلة بنتا بكرا يتزوجها ثم يقتلها فى ساعتها، ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات حتى ضجت الناس وهربت ببناتها ولم يبق فى المدينة أى فتاة للزواج. أمر الملك وزيره أن يأتيه بزوجة

جديدة ، فخرج الوزير يبحث عن فتاة مناسبة للزواج فلم يجد، فتوجه إلى منزله وهو مهموم ومقهور . كان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء ودلال ، تسمى الكبيرة شهرزاد والصغيرة اسمها نيازاد ، وكانت الكبيرة ذات حكمة ورجاحة عقل ، قرأت من الكتب الكثير وتعرفت على سير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضيين ، وقيل أنها جمعت فى خزانتها ألف كتاب من كتب التاريخ التى تحكى عن أساطير الأمم السالفة وأسرار الملوك الخالية ، ودواوين الشعراء المحدثين والأقدمين . قالت شهرزاد لأبيها : ما لى أراك متغير المزاج وحزينا ، وحامل الهم الدفين؟ حكى الوزير لابنته ما جرى له مع الملك ، فقالت له : يا أبتاه زوجنى هذا الملك ، فإما أن أعيش أو أكون فداء لبنات حواء وسببا لخلاصهن من هذا البلاء . وافق الوزير على مضض ، وجهزها وخرجا إلى الملك شهريار بعد أن اتفقت شهرزاد مع أختها نيازاد على حيلة تبعدها عن سيف الجلاد .

تزوج الملك من شهرزاد ولما قضى حاجته أمر بقتلها ، فبكت شهرزاد وقالت : أيها الملك لى أختا صغيرة أريد أن أودعها قبل أن أموت ، فأرسل الملك لإحضار أختها التى عانقت شهرزاد وجلسا يتحدثان وقالت لها أختها الصغيرة : بالله عليك ياأختى حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا قبل أن يهل الصباح ويجز عنقك السلاح . ردت شهرزاد : حبا وكرامة إن أذن لى الملك المهذب ، فأجاب الملك بالموافقة ، وبدأت شهرزاد الحديث بقولها : بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد ، ثم حكت أول حكاية عن « التاجر مع العفريت » . توقفت شهرزاد عندما بزغ الصباح قبل أن تنتهى من الرواية ، وكان الملك فى شوق لمعرفة النهاية ، فطلبت شهرزاد أن يمهل قتلها إلى الليلة التالية فوافق شهريار .

استمرت شهرزاد فى سرد الحكايات لزمن يزيد عن الثلاث سنوات ، حكت فى ألف ليلة وليلة ما يزيد عن ألف حكاية ورواية . كانت شهرزاد فى هذه المدة قد أنجبت من الملك ثلاثة ذكور ، فلما فرغت من جميع الحكايات ، قامت على قدميها وقبلت الأرض بين يدى الملك وقالت له : يا ملك الزمان وفريد العصر والآوان إنى

جاريتك ولى ألف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لى فى جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنية، فقال لها الملك: تمنى تعطى يا شهرزاد، فصاحت على الجوارى وقالت لهم: أحضروا أولادى فجاؤا لها بهم مسرعين فوضعتهم أمام الملك وقالت يا ملك الزمان : إن هؤلاء هم أولادك وقد تمنيت عليك أن تعتقنى من القتل إكراما لهؤلاء الأطفال ، فإنك إن قتلتنى يصير هؤلاء الأطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء . تأثر الملك شهريار من حديث شهرزاد وأخذ فى البكاء ، وضم أولاده إلى صدره وقال : يا شهرزاد والله إنى قد عفوت عنك من قبل مجىء هؤلاء الأولاد لكونى رأيتك عفيفة نقية ، وحرة تقية، بارك الله فيك وفى أبيك وأمك، وأصلك وفرعك، وأشهد الله على أنى قد عفوت عنك من كل شىء يضرك ، فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحا زائدا وقالت : أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارا ، وكثر أيام سعدك . وكانت ليلة لا تعدو من الأعمار ولونها أبيض من وجه النهار ، وأصبح الملك مسرورا وبالخير مغمورا ، وأمر جنوده وحاشيته أن يزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها من قبل ، ودقت الطبول وزمرت الزمور ، وأجزل الملك لشعبه العطايا والهبات ، وعاش الجميع فى تبات ونبات .

خاتمـــة

إن أسطورة « الخطيئة امرأة » هى وهم شكَّله وصدقه الرجل، والوهم فى علم النفس ليس سوى تحريف ذاتى لمضمون موضوعى، بمعنى أن الذات – لأسباب خاصة بها – تقوم بتحريف المضمون الموضوعى لإشباع رغبة داخلية لتسيير الموضوع فى اتجاه ينفث به عن مكنون يسبب له الضيق والألم. يختلف الوهم عن الهلوسة التى تعتبر حالة مرضية يسببها ذهن مختل، بخلاف الوهم الذى لا يعتبر مرضا نفسيًا ولكنه رغبة، فيها تدفع الذات ذهن الإنسان كى يصدقه . إن العقل الإنسانى لا يستطيع أن يدرك العالم المحيط إلا عن طريق ما يستنتجه من خلال الحواس ، وما يكتسبه من خلال تجاربه، وتحاول الذات الذكورية التى خرجت من تجربة مريرة أو سلبية مع المراة أن يضفى عليها إثم الخطيئة، محاولا – الذكر – أن يتناسى أنه أيضا مغموس فى خطيئة اندلاع الحروب والقتل والتدمير،وشريكا مع المرأة فى خطيئة العلاقات المحرمة .

كتب المفكر الأمريكى فرانسيس فوكوياما : (إن العدوان والعنف والحرب، والمنافسة الشديدة من أجل الهيمنة هى سمات مرتبطة بالرجال أكثر منها بالنساء) . يرى فوكوياما أن النساء لو حكمت العالم فسوف تقل العدوانية، وينخفض معدل العنف بين الدول، ولكن تناسى الكاتب أسطورة أو حقيقة لثيبوس اليونانية القديمة، التى انتهى أمر رجالها بسبب الحروب، فقامت النساء بجز صدورهن، ولبسن دروع الحرب، وقاتلن حتى انتصرن . فالمرأة فى عنفها يمكن أن تضارع الرجل، ومع الحيلة وأسلوبها الناعم فى الخداع والمكر تستطيع أن تتفوق على أعتى الرجال .

لم يكن نجاح المرأة مقصورا على العصور الحديثة فحسب، فقد أثبتت عبر

التاريخ أنها بالفعل جديرة بأن تحكم وتتولى المناصب المهمة والحيوية فى جميع المجالات . حكمت حتشبسوت مصر مع أبيها تحتمس الأول فى أواخر أيام حكمه فى القرن السادس عشر قبل الميلاد .، ثم جاء زوجها وأخوها تحتمس الثانى ليحكم مصر . أرسلت حتشبسوت بعثات بحرية فى بلاد بونت على شواطئ أفريقيا الشرقية،وافتتحت سوقا جديدة للتجارة . فى عهد حتشبسوت عاشت مصر فى أمان ونظام ورواج اقتصادى . كانت كليوباترا ذات الأصل اليونانى / المقدونى، آخر ملوك الأسرة البطليمية فى مصر، والتى حكمت مصر فى القرن الأول قبل الميلاد . طلب والدها أن تتزوج من أخيها ويشتركا معا فى حكم مصر ولكنها فى الواقع كانت هى الحاكم الفعلى للبلاد . استطاعت كليوباترا أن ترفع شأن مملكتها فى مواجهة الإمبراطورية الرومانية . وفى عام ١٢٥٠ ميلادية تولت شجرة الدر عرش مصر بعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب . أخفت شجرة الدر وفاة السلطان حتى لا يحدث بلبة فى صفوف الجيش المصرى الذى كان يحارب الصليبين . وبعد استقرار الأمور تولت شجرة الدر الحكم والحرب بمساعدة أمراء وقواد المماليك . وخارج مصر حكمت بلقيس مملكة سبأ بعد وفاة أبيها الذى لم يرزق بأبناء بنين . فى بداية الأمر استنكر اشراف وعلية قومها توليها الحكم، وقابلوا الأمر بالازدراء الشديد،وكان لهذا الصراع فى قوم بلقيس أصداء خارج حدود مملكتها، فأثار الطمع قلوب الطامحين للاستيلاء عليها وعلى مملكتها ومنهم الملك عمرو ابن أبرهة الملقب بذى الأذعار، فتوجه إلى مملكة سبأ للاستيلاء عليها . علمت بلقيس بحملة ابن أبرهة فخشيت على نفسها وتخفت فى ثياب أعرابى ولاذت بالفرار . بعد أن دخل ابن أبرهة مملكة سبأ غازيا وفاتحا، عم الفساد فى المملكة، فعادت بلقيس مصممة على التخلص من ابن أبرهة . احتالت بلقيس حتى دخلت مخدع ابن أبرهة وظلت تسقيه الخمر وهو يظن أنه نال منها، وعندما بلغ الخمر مبلغه وفقد ابن أبرهة الوعى، استلت بلقيس خنجرا وذبحته . ازدهر حكم بلقيس بعد ذلك، واستقرت بلادها، وتمتع جميع أهل اليمن بالرخاء والعمران، ووطدت أركان ملكها بالعدل، وحكمت قومها بالحكمة، فذاع صيتها ونعمت بحب الناس لها .

لم تبرز من النساء إلا القليل فى مجال الفلسفة، ولم تصل إلى الشهرة أى منهن . انغمس النساء فى الحياة الاجتماعية وتركن للرجال التحليق فى آفاق المنطق والغوص فى أسرار الذات، وبعدن عن الحيرة ومعاناة الفكر . تحتل الأسئلة المرتبطة بموضوع «هوية الذات» المرتبة الأولى فى أهمية المواضيع التى يخوضها الفلاسفة من النساء . يمكن تقسيم الحركة النسائية إلى ثلاث مراحل تاريخية، وفقا لما ورد فى مقالة الكاتبة جل هاواى «الفلسفة النسوية»: كانت الحقوق النسائية تحتل قمة جدول أعمال المرحلة الأولى، وهى المرحلة التى تربطها بالمناداة بحق الانتخاب للمرأة والفلسفة النسوية الوجودية . ومع الحركات النسوية الليبرالية والوجودية، شاع الاعتقاد بأنه لا يوجد فرق أساسى أو نسبى يذكر بين الجنسين أو النوعين، وهو الفرق الذى يتعين على قيم مختلفة .... أن الطرفين بإمكانهما أن يريا أو يناقشا أن هذا ليس سمة عرضية أو طارئة للنوع أو الجنس، بل هى طبيعة أو خاصية متصلة بالمشاركة فى عمليات صنع القرار التى هى من سمات الديمقراطيات السياسية الناشئة. ويجادل أنصار الليبرالية والوجودية النسوية، أنه من دون مثل هذه المشاركة، فإن المرأة تستمر فى كونها خاضعة سياسياً، بمعنى أنها خاضعة للسلطة السياسية، من دون أن تكون عاملاً سياسياً فعالاً يحدد شرعية السلطة السياسية . لذلك فمن خلال محاولتها أن تكتسب مكاناً على الزمن الخطى للسرد التاريخى للكشف عما هو مستبعد أو مسكوت عنه حتى اليوم . تبنى أنصار النسوية لغة الحقوق والمساواة، القائمة على الإقناع، والفلسفة بأن مفهوم «الذات» Subject يمكن تعريفه على أنه قوة عاقلة مستقلة.. لكن الارتياب فى هذا البرنامج السياسى والإحباط الناجم عنه،قد أدى بالمرحلة الثانية من الحركة النسوية حول جدوى هذا الاقتناع أو تأثيره . وبرهنت المرحلة الثانية من النسوية بالتركيز على خصوصية خبرة المرأة وقيمتها وسيكولوجيتها،على أنه كانت هناك فروق لا سبيل إلى تجاهلها بين النوعين أو الجنسين، وربما كانت فروقا أساسية، ليس هذا فحسب، بل إنه يوجد أيضا لكل جنس منهما توجهات أخلاقية مميزة عن الآخر . وقد تحولت المرحلة الثالثة من النسوية إلى التحليل النفسى وإلى «التفكيكية » deconstructionism من أجل تفسير نشأة التميز أو الفروق الجنسية البارزة .

يعتبر ميثاق الأمم المتحدة الذى اعتمد فى مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة عام ١٩٤٥ أول معاهدة دولية تشير فى عبارات محددة وبوضوح إلى تساوى النساء والرجال فى الحقوق . وشددت الشرعية الدولية لحقوق الإنسان على ضرورة ضمان تمتع المرأة بالحماية القانونية . توالت قرارت الأمم المتحدة لتحسين أوضاع المرأة حيث اعتمد عام ١٩٥٢ أول صك قانونى خاص بحقوق المرأة وهو « اتفاقية الحقوق السياسية للمرأة » وتنص هذه الاتفاقية على أنه من حق المرأة أن تقوم بشروط مساوية للرجل بالتصويت فى جميع الانتخابات ، وشغل المناصب العامة ، وممارسة جميع المهام العامة التى يحددها القانون الوطنى .

وفى عام ١٩٥٧ اعتمدت الجمعية العامة (إتفاقية جنسية المرأة المتزوجة) والتى تنص على أنه لا يمكن تغيير جنسية المرأة تلقائيا بإبرام عقد الزواج أو بإنهاء الزواج أو بتغيير جنسية الزوج فى أثناء الزواج. فى عام ١٩٦٢ نصت اتفاقية لمنظمة اليونسكو على الحد الأدنى لسن الزواج ، والرضا بالزواج ، وكذلك تسجيل عقود الزواج . جاء العهد الدولى بالحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦ ليؤكد على ضرورة احترام وتأمين الحقوق المقررة فيه لكافة الأفراد دون تمييز ، مما يعنى التزام الدول الأطراف بتحقيق المساواة المدنية والسياسية بين الرجال والنساء فى كافة المجالات .

بدأت المحافل الدولية فى الربع الأخير من القرن العشرين تكثيف الاهتمام بقضايا المرأة ، ففى عام ١٩٧٥ أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن هذا العام هو سنة دولية للمرأة ، وأن الفترة من ١٩٧٦ حتى ١٩٨٥ عقدا دوليا للمرأة ، وفى عام ١٩٧٩ اعتمدت الاتفاقيات الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة . فى عام ١٩٨٥ اعتمد مؤتمر نيروبى الدولى الاستراتيجيات المرتقبة للنهوض بالمرأة فى فترة السنة التالية حتى نهاية القرن . أكدت منظمة اليونيسيف الدولية فى مؤتمرها الذى عقدته عام ١٩٨٩ على ضرورة تحسين أوضاع المرأة وتخفيض نسبة الأمية بين النساء ، كما أكد المؤتمر العالمى المعنى بحقوق الإنسان الذى عقد فى فينيا عام ١٩٩٣

على تجديد ضرورة تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة فى كافة الحقوق ، وكذلك ضرورة مكافحة التمييز القائم فى كافة مجالات الحياة على أساس نوع الجنس ذكر/ أنثى Gender .

وفى عام ١٩٩٤ عقد المؤتمر الدولى للسكان والتنمية فى مدينة القاهرة ، والذى جاء فى قراراته أن تمكين المرأة وتحسين مركزها أمر أساسى لتحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . أكد مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية والذى عقد فى كوبنهاجن عام ١٩٩٥ على أن تقدم المرأة وتحقيق كامل إمكاناتها يعتبر عنصرًا أساسيًا فى تقدم المجتمع وحل مشكلاته . كان أهم المؤتمرات التى عقدت بخصوص المرأة هو مؤتمر بكين فى عام ١٩٩٥ والذى أشار إلى ضرورة حماية حقوق المرأة وتحقيق مساواتها الكاملة مع الرجل وإزالة كافة أشكال التمييز ضدها والعمل على إزالة كافة العقبات التى تحول دون مشاركتها الكاملة فى الحياة العامة وفى مواقع اتخاذ القرار على كافة المستويات ، ومكافحة كل أشكال العنف ضدها ، ورفع مستوى الخدمات التعليمية والصحية المقدمة لها وتمكينها من الحصول على الاستقلال الاقتصادى والمساهمة فى عمليات الإنتاج . أوصى المؤتمر أيضا على ضرورة تعبئة كافة الجهود فى سبيل النهوض بالمرأة وتعزيز دورها فى المجتمع كوسيلة لتقارب الثقافات بين الدول . أقرت الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة – فى هذا المؤتمر – أن تلتزم هذه الدول بنسبة ثلاثين فى المئة كحد أدنى ، كنصيب للمرأة فى كل الأجهزة والمستويات القيادية سواء كانت إدارية أو منتخبة ، على أن ترتفع هذه النسبة إلى خمسين فى المائة . لم ينظر أعضاء مؤتمر بكين إلى هذه النسبة كهدف فى حد ذاته، وإنما كوسيلة وأداة لتمكين المرأة من المشاركة فى صنع القرار الذى يؤثر فى كل أوضاعها الحياتية الخاصة والعامة . نصت المادة (١٣) من إعلان بكين على البيان التالى : (إن تمكين المرأة ومشاركتها الكاملة على قدم المساواة مع الرجل فى جميع جوانب حياة المجتمع بما فى ذلك المشاركة فى عملية صنع قرارات تخص حياة المجتمع ، أمور أساسية لتحقيق المساواة والتنمية والسلم ، والهدف من المشاركة فى مواقع صنع القرار حسب التمثيل العددى هو الوسيلة الوحيدة لإدراج

المرأة فى هذه المواقع) . لقد وصلت المرأة فى بعض الدول إلى منصب رئيسة دولة أو رئيسة وزراء ، وتبوأت أعلى مناصب القضاء ، وأصبح الحكم الرئيسى للعمل هو الكفاءة والقدرة الفنية والإدارية لشغل المنصب بصرف النظر عن الجنس ، وبذلك اعترفت معظم دول العالم بقدرات المرأة العقلية والاجتماعية والعاطفية والنفسية فى أداء عملها .

هل أدت الزيادة فى الرعاية الاجتماعية فى القارة الأوربية إلى تشجيع المرأة على النزول إلى سوق العمل ...؟ وضعت النظم الاجتماعية فى أوروبا سياسات يسودها العطف والحنان على المرأة ، من خلال تقديم إجازات طويلة بعد الولادة ، ومن ثم حثهن على الاستفادة من سياسة ضريبية لا تشجعهن على العمل. بالإضافة إلى ذلك تستفيد المرأة من إعانات من شأنها البقاء فى المنزل . انتقد بعض الخبراء السياسة الأوربية فى هذا المجال فى أنها تهدر مواهب نسائها ، فلا يتركن عملهن لفترات طويلة فحسب ، بل إن الكثير منهن لا يعدن للعمل مرة ثانية . ذهب بعض المهتمين بالشئون الاجتماعية والعمل فى أوروبا إلى وجوب تشجيع النساء للنزول إلى سوق العمل خاصة مع انخفاض معدل زيادة السكان ، وارتفاع متوسط السن مما يهدد الاستقرار المالى لكل الدول الأوربية تقريبا . أصبح على الدول الأوربية تدبير مبالغ مالية كبيرة لمواجهة الزيادة فى المعاشات ومكافآت التقاعد عن العمل مما أثر على اقتصاديات بلادها .

ساهمت الحكومة المصرية بدور فعال فى تحسين وضع المرأة حيث قامت بتأسيس المجلس القومى للطفولة والأمومة فى عام ١٩٨٩ بهدف مواجهة المشاكل المتعلقة بالأمومة والتنسيق فيما بينها . كما تم تأسيس اللجنة القومية للمرأة فى عام ١٩٩٣ للإعداد لمؤتمر المرأة التابع للأمم المتحدة الذى عقد فى بكين عام ١٩٩٥ ، وتلى ذلك تأسيس المجلس القومى للمرأة فى عام ٢٠٠٠ للتخطيط والمتابعة وتقييم تنفيذ البرامج والسياسات الخاصة بتعزيز أوضاع المرأة . أيضا اهتمت المنظمات غير الحكومية فى مصر بقضايا المرأة والتنمية ، ونجحت إلى حد بعيد فى طرح قضايا المرأة

على المستوى الوطنى ، مما أسفر عن تضمين شئون المرأة فى الخطة القومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . أيضا يجب الإشادة بمجهود المجلس القومى للمرأة فى هذا الإطار ، حيث تضمن قرار إنشائه النهوض بالمرأة وتفعيل دورها الأساسى فى التنمية الوطنية ، وإدماج جهودها فى التنمية الشاملة . استطاعت المنظمات غير الحكومية تحقيق النجاح فى مواضيع تهم المرأة ، مثل تعديل قانون الجنسية ، وتعديلات قانون الأحوال الشخصية ، وقضية وصول المرأة للمناصب العليا وعلى رأسها القضاء ، كما نجحت هذه المنظمات فى التصدى للسلوكيات السلبية مثل ختان البنات .

خصص عدد من المنظمات الأهلية المعنية بشئون المرأة عددا من برامجها لتنمية المرأة على المستوى الاقتصادى ، فقد نفذت « رابطة المرأة العربية » مشروعا استهدف النساء المعيلات لأسر فى عدد من المحافظات المصرية . يقوم المشروع بتدريب النساء بهدف إدماجهن فى سوق العمل للمساهمة فى زيادة دخل الأسرة من جانب، والتأكيد على أهمية مشاركة المرأة فى العملية الإنتاجية من جانب آخر . يوجد أيضا جمعيات أخرى مثل « جمعية نهوض وتنمية المرأة »، والتى اهتمت بالجانب الاقتصادى فى تنمية المرأة من خلال برامج القروض الميسرة التى تهدف إلى دعم دور المرأة فى التنمية . ويقوم مشروع « الأسر المنتجة » بمنح الأسرة قروضا ميسرة لتنفيذ مشروعات إنتاجية، مع تدريبهم على بعض الحرف الملائمة، وتتولى جمعيات الأسر المنتجة المنتشرة فى كافة أنحاء مصر بتسويق المنتجات .

اهتمت العديد من المنظمات غير الحكومية والجمعيات الأهلية، بالتعاون مع الجهات الرسمية المعنية فى مصر بتعليم الأنثى وخاصة مشكلة تسرب الفتيات من التعليم، كما اهتمت ببرامج محو الأمية، وكذلك بمشكلات الصحة الإنجابية وصحة المرأة بصفة عامة . وعلى المستوى السياسى، قام العديد من المنظمات غير الحكومية بتخصيص البرامج التى تهدف إلى زيادة نسبة تواجد المرأة فى الحياة السياسية من خلال تفعيل دورها كناخبة أو كمرشحة للهياكل التشريعية ،

أو بدعمها فى حالة وصولها إلى تلك المناصب . وفى هذا المجال ، كان للمركز المصرى لحقوق المرأة دور مهم من خلال تخصيص العديد من برامجه للتنمية السياسية للمرأة، وإعداد الكوادر لخوض الانتخابات ونشر التوعية السياسية . وكادت الموروثات الثقافية ، والتقاليد السلبية السائدة فى المجتمع أن تشكل معوقا رئيسيا لتفعيل دور المرأة فى عملية التنمية مما يعد إهدارًا للجهود المبذولة . ومن أجل تخطى هذا العائق ، خصصت المنظمات غير الحكومية جانبا كبيرا من أنشطتها لتوعية الرأى العام بأهمية مشاركة المرأة المصرية فى عملية التنمية من منطلق المساواة . تم تنظيم الندوات والمؤتمرات المختلفة التى استهدفت مشاركة أكبر من قطاعات أوسع فى المجتمع المصرى ، كما قامت العديد من المنظمات بطرح إصدارات مختلفة من كتيبات ودراسات تعرضت لموضوع المرأة والتنمية ، وقامت بنشرها وتوزيعها.

أدركت المنظمات غير الحكومية أهمية الدور الذى يلعبه الإعلام فى تشكيل ونشر الوعى الصحى والمفيد ، خاصة فى ظل ارتفاع معدلات الأمية ، فقامت بمخاطبة الإعلام من خلال تدريب الإعلاميين على قضايا النوع (ذكر / أنثى) والتنمية ، والقيام برصد البرامج والمسلسلات التى تساعد على تكريس الصورة النمطية للمرأة والتصدى لهذه الظاهرة ، وكان « لمؤسسة المرأة الجديدة » دورا رئيسيا فى هذا المجال. حرصت هذه المنظمات على تقوية الجسور بينهما وبين الإعلام من خلال تغطية أنشطتها المختلفة ومحاولة إبراز الصورة الإيجابية للمرأة ، وأنتجت بعض المنظمات الأفلام الوثائقية والتنويهات التليفزيونية والتى يتم عرضها فى التليفزيون المصرى كأحد وسائل تنمية الوعى لدى الجماهير العريضة بأهمية مشاركة المرأة فى التنمية .

المراجـــع

١- " القيم فى تشكيل السلوك الإنسانى " – د. محمد الجزار – مركز الكتاب للنشر – ٢٠٠٧.

٢- " علم الاجتماع القانونى ودراسة حقوق الإنسان " – دكتور البسيونى عبد الله البسيونى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٦ .

٣- "معنى الحياة"– ألفريد آدلر– ترجمة عادل نجيب بشرى – الهيئة المصرية العامة للكتاب– ٢٠٠٦.

٤- " النوع – الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف " – مقالات مختارة – ترجمة محمد قدرى عمارة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٦ .

٥- " الفكر الإنسانى " – دكتور محمد الجزار – مركز الكتاب للنشر – ٢٠٠٦ .

٦- " مجلة العربى " – الكويت – مايو ٢٠٠٦.

٧- " المنظمات غير الحكومية – مشاركة من أجل التنمية وحقوق الإنسان " – منتدى الحوار والمشاركة من أجل التنمية حول دور المنظمات غير الحكومية فى التنمية – تحرير ممدوح سالم – ٢٠٠٥ .

٨- " الفلسفة أنواعها ومشكلاتها " – هنتر ميد – ترجمة د. فؤاد زكريا – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – ٢٠٠٥ .

٩- " الإنسان السيد ... العبد " – دكتور محمد الجزار – مركز الكتاب للنشر – ٢٠٠٤ .

١٠- " مستقبل الفلسفة فى القرن الواحد والعشرين " – تحرير أوليفر ليمان – ترجمة مصطفى محمود محمد – عالم المعرفة – الكويت – مارس ٢٠٠٤ .

١١- " علم النفس التحليلى " – ك. ج يونج – ترجمة نهاد خياطة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٣.

١٢- " علم النفس " – مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب – ديسمبر ٢٠٠٣ .

١٣- " جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتى " – د. عصمت محمد حسن – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٣ .

١٤- " السلوك الإنسانى – ثلاث نظريات فى فهمه " – روبرت د. ناى – ترجمة أحمد إسماعيل صبح، منير فوزى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٣.

١٥- "المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام" – زكى على السيد – دار الوفاء – ٢٠٠٣.

١٦- " الإنسان والخرافة – الخرافة فى حياتنا " – د. أحمد على مرسى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٣.

١٧- " ثقوب فى الضمير – نظرة على أحوالنا " – د. أحمد عكاشة – دار الشروق – ٢٠٠٣.

١٨- " تحمل المسئولية الآن ! ... الطريقة الفعالة للتغلب على عادة اللوم " – د. ويليام كناوس – مكتبة جرير – المملكة العربية السعودية – ٢٠٠٢ .

١٩- " المخ البشرى – مدخل إلى دراسة سيكولوجية والسلوك " – كرستين تمبل – ترجمة د. عاطف أحمد – عالم المعرفة – الكويت – نوفمبر ٢٠٠٢.

٢٠- " معجم الحضارات المصرية القديمة " – جورج بوزنر ، جان يويوت ، وآخران – ترجمة أمين سلامة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠١ .

٢١- " كيف تتخلصين من القلق " – جين وروبرت هاندلى ، بولين نيف – ترجمة د. سهير محفوظ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠١.

٢٢- " قدر الإنسان بين الصراع والسعادة " – د. محمد الجزار – مركز الكتاب للنشر – ٢٠٠١.

٢٣- "موسوعة مصر القديمة" – سليم حسن – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠١.

٢٤- " علم النفس ـ فلسفته وحاضره ومستقبله ككيان اجتماعى " ـ د. مصطفى سويف ـ الدار المصرية اللبنانية ـ ٢٠٠٠ .

٢٥- " عقل جديد لعالم جديد " – روبرت أورنشتاين ، وبول إيرليش – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٠.

٢٦- " كيف تحقق السعادة لنفسك ولمن حولك بالأساليب العلمية " الدكتورة بثينة حسنين عمارة – دار الأمين للطباعة والنشر – ٢٠٠٠ .

٢٧- " المرأة والمجتمع " – آمال الشرقاوى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩.

٢٨- " موجز تاريخ العالم " – هـ . ج. ويلز – ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩ .

٢٩- " بحثا عن عالم أفضل " – كارل بوبر – ترجمة د. أحمد مستجير – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩.

٣٠- " العالم الثالث غدا " – بول هاريسون – ترجمة مصطفى أبو الخير عبد الرازق – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩ .

٣١- " تفسير الناس للسلوك والمواقف من منظور علم النفس المعاصر " – الدكتور عز الدين جميل عطية – عالم الكتب – ١٩٩٩ .

٣٢- " ثقافة علمية أسرية للقرن الحادى والعشرين " – د. بثينة حسنين عمارة – ١٩٩٩ .

٣٣- " متاعب الزواج " – د. عادل صادق – دار الشروق – ١٩٩٩ .

٣٤- " أساطير من الشرق " – سليمان مظهر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٧ .

٣٥- " مصر ومجدها الغابر " – مرجريت موى – ترجمة محرم كمال – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٧ .

٣٦- " الثالوث المحرم – دراسة فى الدين والجنس والصراع الطبقى " – بوعلى ياسين – دار الكنوز الأدبية – بيروت – ١٩٩٦ .

٣٧- " التعايش مع الآلام الشهرية عند النساء " – د. مارتن لودفيغ – ترجمة مركز التعريب والبرمجة – الدار العربية للعلوم – بيروت – ١٩٩٦ .

٣٨- " الفيلسوف المسيحى والمرأة " – د. إمام عبد الفتاح إمام – مكتبة مدبولى – ١٩٩٦.

٣٩- " سيكوديناميات العلاقة الأسرية " – دكتور صالح حزين السيد – ١٩٩٦.

٤٠- " تاريخ دولة المماليك فى مصر " – وليم موير – ترجمة محمود عابدين وسليم حسن – مكتبة مدبولى – ١٩٩٥ .

٤١- " الفكر الشرقى القديم " – جون كولر – ترجمة كامل يوسف حسين – عالم المعرفة – الكويت – يوليو ١٩٩٥.

٤٢- " بدايات الفلسفة الأخلاقية " – د. محمد عبد الرحمن مرحبا – مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٩٥ .

٤٣- " المماليك فى مصر " – أنور زقلمة – مكتبة مدبولى - ١٩٩٥ .

٤٤- " معجم ديانات وأساطير العالم " – د. إمام عبد الفتاح إمام – مكتبة مدبولى – ١٩٩٥ .

٤٥- " الوردية الثانية فى حياة المرأة العاملة " – أرلى هوكستشايلد ، آن ماشنج – ترجمة عزة عبد الفتاح الجوهرى – الدار الدولية للنشر والتوزيع – ١٩٩٤ .

٤٦- " مصطلحات فكرية " – سامى خشبة – المكتبة الأكاديمية – ١٩٩٤ .

٤٧- " روائع من أقوال الفلاسفة والعظماء فى المرأة " – سيد صديق عبد الفتاح – مكتبة مدبولى – ١٩٩٤ .

٤٨- " دع القلق وابدأ الحياة " – دايل كارينجى – مكتبة الهلال – ١٩٩٤ .

٤٩- " غزو السعادة " – برتراند راسل – ترجمة سمير شيخانى – دار الأمير – بيروت – ١٩٩٤ .

٥٠- " سيكولوجية السعادة " – مايكل ارجايل – ترجمة د. فيصل عبد القادر – عالم المعرفة – الكويت – يوليو – ١٩٩٣ .

٥١- " موسوعة علم النفس والتحليل النفسى " – الدكتور فرج عبد القادر طه وآخرون – دار سعاد الصباح – الكويت – ١٩٩٣ .

٥٢- " خمسة آلاف قول فى المرأة والرجل " – سمير شيخانى – دار الجيل – بيروت – ١٩٩٣ .

٥٣- " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " – جفرى بارندر – ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام – عالم المعرفة – الكويت – مايو ١٩٩٣ .

٥٤- " جمالك يا ... آنسة .. " – دكتور أيمن الحسينى – مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع – ١٩٩٣ .

٥٥- " التوافق النفسى – تحليل المعاملات الإنسانية " – د. توماس أ.هاريس – ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٢ .

٥٦- " تاريخ مصر الحديث " – الجزء الأول – جورجى زيدان – مكتبة مدبولى – ١٩٩١ .

٥٧- " قصة الحضارة " – ول ديورانت – ترجمة د. زكى نجيب محفوظ ، محمد بدران ، وآخرون – دار الجيل – ١٩٩١ .

٥٨- " موسوعة التاريخ الإسلامى " – الدكتور أحمد شلبى – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٩٠ .

٥٩- " سيكولوجية الخوف " – يوسف ميخائيل سعد – نهضة مصر – ١٩٩٠ .

٦٠- " الفكر الأوروبى الحديث " – فرانكلين باومر – ترجمة د. أحمد حمدى محمود – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٩ .

٦١- " الدافعية والانفعال " – إدوارد موراى – ترجمة د. أحمد سلامة وعثمان نجاتى – دار الشروق – ١٩٨٨ .

٦٢- " قوتك فى ذاتك " – الدكتور طالب الخفاجى- دار المريخ للنشر – الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٩٨٦ .

٦٣- " تصدع الشخصية فى نظريات علم النفسى " – يوسف الحجاجى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٦ .

٦٤- " المرأة فى ظل الإسلام " – عبد الأمير منصور الجمرة – دار ومكتبة الهلال – بيروت – ١٩٨٦ .

٦٥- " بناتنا ومشاكلهن الصحية " – محمد رفعت – دار البحار – بيروت – ١٩٨٥ .

٦٦- " الطب النفسى " – د. عادل صادق – دار الحرية – ١٩٨٥ .

٦٧- " الطب النفسى المعاصر " – دكتور أحمد عكاشة – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٨٤ .

٦٨- " المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر " – د. عبد الله شحاته – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٤ .

٦٩- " النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم " – دكتور السيد الحسينى – دار المعارف – ١٩٨٣ .

٧٠- " الأنثروبولوجيا – أسس نظرية وتطبيقات عملية " – دكتور محمد الجوهرى – دار المعارف – ١٩٨٣ .

٧١- " تمهيد فى علم الاجتماع" – بوتو مور – ترجمة د. محمد الجوهرى ، د. عليا شكرى، د. محمد على محمد ، د. السيد محمد الحسينى – دار المعارف – ١٩٨٣ .

٧٢- " معالم التحليل النفسى " – سيجموند فرويد – ترجمة د. محمد عثمان نجاتى – دار الشروق – ١٩٨٣ .

٧٣- " علم الإجتماع " – دكتور عبد الحميد لطفى – دار المعارف – ١٩٨٢ .

٧٤- " صورة التراث لدى المرأة ونماذج من الأدب الشعبى – سسيولوجية " – د. عزيزة السيد – مجلة العلوم الإجتماعية – جامعة الكويت – سبتمبر ١٩٨٢ .

٧٥- " تطور المرأة عبر التاريخ " – باسمة كيال – مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٨١ .

٧٦- " الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة " – دكتورة علياء شكرى – دار المعارف – ١٩٨١.

٧٧- " الأسس النفسية للتكامل الاجتماعى – دراسة ارتقائية تحليلية – الدكتور مصطفى سويف – دار المعارف – ١٩٨١ .

٧٨- " بلاد مابين النهرين "ـ ل. ديلابورت ـ ترجمة محرم كمال ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ .

٧٩- " سيكولوجية الطفولة والمراهقة " – دكتور مصطفى فهمى – مكتبة مصر – ١٩٦١.

٨٠- " مشكلات الحياة الانفعالية " – سيرجيون إنجلش ، جيرالد بيرسون ، ترجمة الدكتور مختار حمزة – دار الثقافة الإنسانية للنشر – ١٩٥٨ .

٨١- " نيتشه " – الدكتور عبد الرحمن بدوى – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٥٦ .

٨٢- " الأسس النفسية للنمو " – الدكتور فؤاد البهى السيد – دار الفكر العربى – ١٩٥٦ .

٨٣- " كيف تفكر المرأة – عن كتاب غرائز المرأة " – سيمون دى بوفوار – المركز العربى للنشر والتوزيع .